

قراءة القراءة

فهد الحمود



مكتبات ونشر
العبيكان
Obeikan
Publishers & Booksellers

قـراءة القـراءة

تأليف

فهد بن صالح الحمود





ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمود، فهد بن صالح بن محمد

قراءة القراءة./ فهد بن صالح بن محمد الحمود . ـ ط٢ .-

الرياض، ١٤٢٦هـ

٢٢٧ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ١ ـ ٨١٩ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القراءة أ. العنوان

ديوي ٠٢٨ ٤٨٣٣ / ١٤٢٦

ردمك: ١ - ٨١٩ - ٤٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٤٨٣٣ / ١٤٢٦

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

الناشر



الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



مشيت بسبب نسخة مفضل ابن فضالة سبعين مرحلة، ولو عُرضت على خبّاز برغيف لم يقبلها.

الحافظ ابن المقرئ (٢٨٥ - ٣٨١)

تذكرة الحفاظ (٣ / ٩٧٤)



طليعة الكتاب



مقدمة الطبعة الثانية

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلعل (هاري بوتر) وهو كتاب قصصي معد للصغار، يقرأه أيضاً الكبار، حظي بانتشار وذيوع لم ينالـه كتاب سبقه حين صدوره!

فلم يكد يصدر جزؤه السادس حتى تحفز الناس لاقتنائه، وشهد سباقاً محموماً بين الصغار والكبار للحصول عليه؛ بدءاً من هونغ كونغ مروراً بأستراليا إلى الولايات المتحدة والدول الأوربية... حتى بلغ ما بيع منه عشرة ملايين نسخه؛ ليصبح أكثر الكتب مبيعًا في العالم، ولتكن مؤلفته أغنى امرأة في بلدها (بريطانيا).

وشهدت المكتبات البريطانية هجمة لم تعرف لها مثيل منذ الصباح الباكر، سبقتها تجمعات قبل منتصف الليل للحصول على النسخة الأولى من الكتاب[1].

أما في عالمنا الإسلامي فهل يمكن أن نجد كتابًا أو كتبًا مجتمعة بقطع البصر عن موضوعها بلغت شأو هذا الكتاب حين صدوره، أو قريبًا منه!!.

---

(١) انظر في تفاصيل الخبر: جريدة الحياة عدد (١٥٤٤٧).

إن هذا الواقع يصور لنا بجلاء حالنا مع الكتب والقراءة، لا يحتاج معه إلا إكثار من القول، ولا تزيد في المقال.

وبعد هذه الاستهلالة أقدم للقارئ الكريم الطبعة الثانية لهذه الكتاب، مستدركًا - إن شاء الله - الأخطاء الطباعية التي حفلت بها الطبعة السالفة، ومضيفاً بعض الفوائد هنا وهناك.

وهنا انتبه إلى أن الاستطرادات الواقعة في الكتاب، والتي كثيراً ما تتحدث عن الكتب وأصحابها إنما كانت بقصد أن يعيش القارئ في أجواء الكتب وأحاديثها، لأنه إذا كانت قراءة الكتب لذة ومتعة، فالحديث عنها كذلك من أمتع اللذات.

وختامًا أتقدم بالشكر والدعاء الخالص لكل من طالع الكتاب قارئًا ومصوبًا وناصحًا ومقترحًا، وأخص بالذكر الأساتذة عبدالرحمن العقل، ود/مصطفى السيد ويوسف الزين، أسأل الله لهم المثوبة والجزاء الوافر على مقترحاتهم وتصويباتهم.

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي خلق فأبدع، ووهب فأسبغ، وصلاة وسلاماً على خيرته من خلقه محمدﷺ.

أما بعد:

فإن ثقافة التمدد والتوسع عبر الشاشة والصوت... وسواها مما عمَّ في صناعة عقول الناس وتشكيلها، امتدت إلى فئام من المثقفين والمتأدبين لتكون زاداً لهم، سواء عبر الفضائيات التي تبث الحوارات والمنتديات الفكرية.. أو على صفحات الشبكة العالمية (الإنترنت)، أو على أكثر الأحوال أن يتأبط أحدهم إحدى الجرائد اليومية فيكرع منها بكرة وعشياً، وهو قنع بما حصل منها؛ وهذا كله على حساب الكتاب الذي هو القادر بلا ريب على البناء والتأسيس.

ولا أجد أكثر تعبيراً لما وصلت إليه حالنا مع القراءة من قول العقاد (١٣٠٦- ١٣٨٣): «إن القراءة لم تزل عندنا سُخرة يساق إليها الأكثرون طلباً لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود»[(١)].

إن العبقرية إذا لم تتغذ بغذاء القراءة خليقة أن تجف وتذبل، وإن الذكاء إذا لم يلازمه اطلاع يتحول إلى هباء.

---

(١) مجلة الرسالة عدد (٤٢٧) ،وعنها مقتطفات في الكتب والقراءة د/كامل العسلي (ص١٤٣).

لقد مر علينا أناس يتميزون بذكاء وصفاء ذهن في أوائل أعمارهم، لكن ما إن يتقدم بهم العمر وينشغلون في مجريات الحياة، ويتركون التقري خلف ظهورهم؛ إلا وتجد جمرة ذكائهم قد خبت إن لم يكن مع هذا تغافل وبلادة.

إن قراءة الكتب هي التي تبني عند الإنسان لغة العلوم، وعنها يعرف طريقة الأسلوب وتأليف الكلام المتبع فيها.

لقد تعامل فئة من القراء مع الكتب تعامل المصادر والمراجع فلم يقرؤوها كاملة، وإنما اكتفوا بالرجوع إليها في حال استغلاق كلمة أو توضيح مبهم أو كشف عن موضوع... أو سوى ذلك، وقد تمر الأيام ذوات العدد ولم يفتح أحدهم كتاباً فضلاً عن قراءته؛ حيث الحاجة إليها مفقودة، ولهذا استعاض أولاء عن الكتاب بالأقراص الحاسوبية لأنها قريبة التناول، رخيصة الثمن.

و فئة أخرى جعلت القراءة ديدنها وعمرت أوقاتها بها، ولكن مع هذا الحرص لم تجد الفائدة المتوخاة منها بالمقارنة مع الوقت الذي تقضيه فيها، وما درى هؤلاء أن القراءة لا تقف على كثرة ما يقرأ، وإنما على كيفية القراءة ونوع الكتاب وكيفية العيش معه والتروي منه أشد الرَوَاء، ذلك أنه كلما كانت القراءة فعَّالة أكثر كان النتاج المتحصل منها أكبر وأغزر؛ لذا فإن السؤال المهم الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا دائماً: كيف نقرأ قراءة فاعلة مثمرة؟

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أجيب عن هذا السؤال الكبير.. وأن أستهدف تلك الشريحة من القرَّاء.

وقد جريت في هذا الكتاب إلى الاختصار؛ إذ كان الإكثار مقروناً بالسآمة، وقد قال من قبلنا: إذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار هذراً، وإذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز عيًا، وخير الأمور أوسطها.

وتركت بيان المنهج المتبع في هذا المؤلف غُفلاً، لأني أخالك بعلمك قادراً على أن تتعرف عليه من أول وريقات تطالعها.

وقد نثرت في فواتح الفصول والأبواب مقولات وقصص من مُشوِّقات القراءة، ما تكون حاثة للقارئ على الاسترسال في قراءة الكتاب، وأحببت أن لا تكون مجموعة في مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ والمستمع، إذ هي محطات توقد العزائم، وتبعث الهمم.

والله أسأل أن يعصمنا من الزلل، وخواطرنا عن العثور، والحمد لله أولاً و أخيراً.

وكتب
فهد بن صالح الحمود
Al Homood-2005@hotmail.com

العنوان البريدي:
المملكة العربية السعودية
الرياض- صندوق بريد: ٨٧٨٠٣
الرمز البريدي: ١١٦٥٢

أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوي (٣٢٤-٤٠١) ذكر أن صديقاً له قصده في عيد زائراً له فوجده داخل داره، وبابه مفتوح، فجلس ينتظره، وأبطأ عليه.. فخرج إليه وهو ينظر في كتاب، فلم يشعر بصديقه حتى عثر فيه، لشغله بالكتاب، فتنبه حينئذ له وسلم عليه، واعتذر له من احتباسه بمسألة عويصة لم يمكنه تركها حتى فتحها الله؛ فقال له الرجل: في أيام عيد ووقت راحة مسنونة !! فقال: إذا علت هذه النفس انصبت إلى هذه المعرفة، والله ما لي لذة ولا راحة في غير النظر والقراءة.

ترتيب المدارك (١٢٥/٧)



خطوة...
قبل الخطوات...



إن اصطحاب الكتاب وجعل القراءة أحد برامجنا اليومية، أسوة بسائر أعمالنا الأخرى التي هي من ضرورات الحياة... يعد أمراً هاماً في تكويننا العلمي والثقافي، وهذا يحتاج منا إلى إعادة صياغة أوقاتنا من جديد، وترتيب الأولويات والمهمات فيها على نحو لا قصور فيه ولا اعوجاج.

كثيراً ما نعلل انصرافنا عن القراءة وجليل الأمور بأسباب متعددة، قد تختلف من شخص لآخر، ومن فئة لأخرى، لكن يجمعها جامع واحد هو ما يعبر عنه بـ (الأسباب الخارجية) التي لها أثر بلا ريب، وهذه الأسباب متنوعة.... تارة نلقي اللوم على العمل والانكباب عليه، ومرة على الأهل والأتراب والأنس بهم، وتارة على الوقت وازدحامه بالأعمال الضرورية....

ثم نظن أننا لو تخلصنا منها لتحقق لنا ما نصبوا إليه، لكن ألم يكن جدير بنا أن نضيف السبب إلى مسببه، والعلة إلى مُعَلِّها حتى يتفق لنا معالجة المشكلة وحل القضية بجدية !!.

إن السبب الرئيس -بلا مراء- الذي يصدنا عن القراءة نابع من أنفسنا وذواتنا، وإن الخلل يكمن فيها، والعلاج يبدأ فيها وينتهي إليها، ولا أُرَاني أزجي الكلام مبالغاً إن قلت: إنه لو عزم الواحد منا على القراءة بصدق وعزيمة فسوف يكون له ما أراد، وحينئذ تتهاوى سائر الأسباب الأخر، فيقرأ في كل أحواله...

ومع هذا فإن هناك إضاءات تعين القارئ على القراءة و الاستمرار عليها، لا تلغي معالجة السبب الأم، ويمكن أن نجملها على نحو مما يلي[1]:

تجاوز العقبة النفسية:

من العقبات النفسية التي قد تتأصل في نفس إنسان ما عدم الرغبة في القراءة والنفرة منها، فتجده يردد دائماً (أنا لا أحب القراءة، أنا لا أطيق القراءة....) وهذا منه تأصيل للنواحي السلبية في نفسه عن طريق هذه الإيحاءات والتصورات التي تكون عائقاً له عن القراءة وسداً ماثلاً بين عينيه.

إن التخلص من هذا الإيحاءات السلبية يكون بإفراغ النفس منها؛ لأن التخلية قبل التحلية كما يقال، ومن ثم إحلال الإيحاءات الإيجابية مكانها والتي منها (أنا أحب القراءة، أنا أستمتع بالقراءة....)، فإذا نجح في هذا فقد قطع مسافة كبيرة نحو القراءة.

إن العامل النفسي له أثر في النفس في إعلاء شأنها، أو خفض منزلتها.... ولما قيل لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- (ت ٤٠هـ): كيف صرت تقتل الأبطال؟ قال: «لأني كنت ألقى

(١) انظر في الطرق التي تعين على القراءة: القراءة المثمرة د/ عبد الكريم بكار (ص٢٦-٢٨)، كيف تقرأ كتاباً للمنجد (ص ٢٥)، الطرق الجامعة د/ محمد موسى الشريف (ص٧٨)، الإضاءة للنصار (ص٧٧).

الرجل فأُقِّدر أني أقتله، ويُقدِّر هو أني أقتله، فأكون أنا ونفسه عليه»[١].

📖 إيجاد الدافع نحو القراءة:

إن الإنسان لا يصادف مشكلة بتاتاً في التعامل مع دوافعه الأساسية كالطعام والأمن وسواهما من ضروريات الحياة... وإنك -إن بحثت- لن تجد أحداً يستدعيها أو يكونها لديه ما لم يكن عليلاً أو مريضاً؛ لأنها من الخلقة والفطرة وإليها، وإنما تكمن المشكلة في الاستجابة لدوافعه الثانوية من علم وقراءة وأشباههما...

لقد كان من جراء التخلف والفقر والخوف الذي حل بكثير من بلاد المسلمين، أن أصبح الواحد من المسلمين يجري جرياً لا التفات معه لتأمين حاجاته الأساسية من طعام وشراب... ثم قل لي بربك ما حال حاجاته الأخرى من علم وقراءة ونحوها ، إنها لم تخطر له على بال، وإن مرت بباله مرت طيف خيال، أو وسوسة هو لها بالمرصاد، و قد تكون قنطرة لعبور مآربه المادية لا غير، وهي بمكان قصي من اهتماماته.

هذا هو النظر الأول الذي يقابلك به جمهرة الناس، لكن ما هو نظر الشرع لها، ذلك المنظار الذي لا يكبو ولا يخبو... إننا نجد فيه أن العلم مرفوعة عمده، سامق بنيانه... وأن التعلم فيه من

(١) البصائر لأبي حيان (١/١١٧) .

ضروب الكفايات، ومن أجلِّ العبادات متى صحت النية وحسن الاتباع، ومتعاطيه ممدوح، وصاحبه مكرم محمود في الدنيا والآخرة، وفي محكم التنزيل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، و﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨)، وقال النبي - ﷺ - «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١].

ثم إذا نظرنا ثانية في تاريخ المسلمين نجد أن العلماء وطلابهم والأشياخ وتلاميذهم جعلوا العلم أول همهم، وطلبه غاية جهدهم، وصيروه عبادة؛ فجدوا واجتهدوا وترووا منه حتى أفاضوا به على سواهم درساً وكتابة...

وقد حفظ لنا التاريخ أمثلة رائقة من صور هذا الجد، حتى ظنها قوم منا إنها نسج من الخيال، ولون من المبالغات التي لا تقبلها العقول!!

ألم يكن من ديننا واعظ، ومن ماضينا معتبر فنجعل التعلم والقراءة من مفردات أيامنا وليالينا، ونعمل على صناعة مجتمع يعرف للعلم أهميته، فلا يعده أمراً هامشياً ثانوياً لا قيمة له.

🕮 تكوين عادة القراءة:

إن الأشياء والهوايات التي نمارسها في حياتنا اليومية إنما صارت عادات بتعلمها أولاً ثم بممارستها والمواظبة عليها ثانياً،

(١) أخرجه البخاري (ح ٧١)، ومسلم (ح ١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

وبهذا تتكون عادة ومهارة وطبيعة ثانية، ومن واقع الناس تعلم المهارات المختلفة كالسباحة وقيادة السيارة؛ فإنها كما هو معروف لا تنال إلا بالمران والتدرب عليها حتى تصبح عادة بعد حين من الزمن .

ومن هنا فإنه لا يوجد طريقة أخرى لتكوين عادة عملية إلا عن طريق إعمالها و ممارستها، فلا تتم من خلال التعلم النظري فقط، وإنما من خلال الممارسة والتمرين؛ والتمرين مع الوقت ينتج الكمالات، والبدايات دائماً شاقة لكن لا بد منها، وأشق الخطوات هي تلك الخطوة الأولى التي بها يخرج العمل إلى حيز الوجود، لكن لا تنال إلا بالصبر والمثابرة ، و«الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية»؛ كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨)[١].

قال ابن القيم (٦٩١-٧٥١): «مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها ....»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٥١) .
(٢) بدائع الفوائد (ص ١٧٣) .

○ **ومن الطرق التي تعين على ذلك:**

- البدأ بالكتب الصغيرة، و القصص المفيدة، و الكتب المشوِّقة، و الروايات التاريخية، ثم التدرج في ذلك حتى تصبح القراءة لدى الإنسان متعة ولذة، والتدرج في الأمور سنة الحياة كلها.
- أن تكون القراءة نوعاً من الاكتشاف، و تنمية للعقل .
- الاجتماع على القراءة، و التواصي على ذلك.

إن القراءة الجماعية ذات أهمية لا سيما عند قوم يحبون الاختلاط مع الآخرين والأنس بهم، فيمكن أن نُفَعِّل تلك التجمعات والسهرات التي يدار أكثرها فيما لا ينفع بالقراءة الجماعية، ومن فوائد الاجتماع على القراءة شحذ الهمم وإيقاد العزائم بين المتجالسين.

وهذه اقتراحات ومبادئ وآليات لتفعيل القراءة الجماعية أطرحها بين يديك باجتزاء:

يقصد بالقراءة الجماعية هي تلك القراءة التي تقوم على عدة أطراف، وهي تفيد المبتدئين في القراءة، أو المعرضين عنها، الصادين عن متابعتها، وكذا من يقرأ على شيخ مستفيداً من توجيهاته و تعليقاته.

وللقراءة الجماعية طريقتان:

الطريقة الأولى:

القراءة الجماعية المتعارف عليها؛ حيث يجتمع مجموعة في وقت معين؛ فيقرأ أحدهم و البقية يستمعون و يتابعونه في الكتاب، وهكذا دواليك حتى ينهوا الكتاب، ويؤخذ على هذه الطريقة البطء في القراءة، مع ما يصاحب ذلك من شرود الذهن، و الملل و السآمة؛ وربما قلة الفائدة، ولذا تجد بعضاً ممن يقرأ متبعاً هذه الطريقة ينقطع عن مواصلة القراءة بتاتاً، أو يغير الكتاب، نظراً لطول المدة التي قضاها في القراءة وبعد لم ينهِ الكتاب.

الطريقة الثانية:

أن تكون قراءة الكتاب على انفراد، والمناقشة لمضمونه جماعياً، ويمكن أن نقترح آليات تساعد على تفعيل هذه الطريقة على النحو التالي:

- نصب مسؤول للجلسة، يقوم بترتيب الاجتماع وتوزيع المهام.
- تحديد وقت معين كل شهر أو أسبوع حسب ما يرون.
- يقوم كل واحد من أفراد المجموعة بقراءة الكتاب المحدد في المنزل، متبعاً قواعد ومبادئ قراءة الدرس والضبط، وكتابة ما يشكل عليه في ورقة خارجية.

• تدار الجلسة المخصصة للقراءة بذكر الخطوط الرئيسة للكتاب، أو الباب منه، يقدمه أحد الأفراد، ثم مناقشة ما ذكره المؤلف مبينين مساحات الجمال والإبداع الموجودة في الكتاب، وكذا أوجه القصور والنقص فيه، والإجابة عما يثار من إشكاليات في الكتاب، أو في موضوعه، وعند ذاك قد تنتج تساؤلات لم توجد لها إجابة، فلهم حيال ذلك طرق عديدة منها:

- وضع مجموعة من الكتب في موضوع الكتاب المقروء في الجلسة للإجابة عن التساؤلات القريبة المنال.

- الاتصال على العلماء أو المفكرين أثناء الجلسة و الاستنارة بأقوالهم، وكتابة ذلك في جزازات خارجية أو على الكتاب نفسه.

- تكليف أحد أفراد المجموعة ببحث المسألة المشكلة، وإحضار ذلك مكتوباً في الجلسة القادمة، ومن الأفضل المزاوجة بين تلك الطرق السابقة حتى تكون الفائدة غير منقوصة .

وسوف نستفيد من هذه الطريقة أموراً منها:

• تربية الشاب على القراءة الواعية التي تبني العقل وتصقل الفكر، وتجعله قارئاً ناقداً لما يقرأ؛ ربما لم يكن يلجأ إليها لو لم يتح له هذا النوع من القراءة .

- في الاستمرار على هذه الطريقة تعويد له على القراءة، والديمومة عليها.
- توجيه الشباب إلى كيفية اختيار الكتب المفيدة، وتطبيق ذلك عملياً.
- إن في هذه الطريقة تنمية المطارحة والمناظرة بين المجتمعين، والمعلوم أن فائدة المناظرة أقوى من فائدة مجرد التكَرار؛ لأن فيها تكراراً وزيادة.

🕮 توفير الكتاب وشراؤه:

إن توفير الكتاب في المنزل يشجع على قراءته و الاطلاع عليه؛ لأنه تفاعل معه بشرائه، ثم بعد ذلك لا بد أن يتفاعل معه بقراءته، وهذا أمر مشاهد، و لذلك ينبغي أن يدخل الكتاب في قائمة الاحتياجات المنزلية التي يوفرها رب الأسرة لأسرته، وأحد ضروب الأثاث المنزلي.

ثم تأتي خطوة لاحقة وهي تكوين مكتبة منزلية؛ لأن وجود المكتبة في البيت تغري أعتى النافرين بتقليب صفحات الكتب والنظر فيها، وقد كان هذا مما حفز بعض القراء الجادين على القراءة في بادي أمرهم[1]، و فيه أيضاً تربية للناشئة على حب الكتاب، وإبعاد النفرة منه.

🕮 توفير الوقت للقراءة:

الذي يريد أن يقرأ لا بد له من جعل وقت محدد للقراءة، لا يتخلف عنه، ويكون ذلك أحد برامج يومه.

---

(١) انظر على سبيل المثال د/ حسين فوزي في كتاب لماذا نقرأ (ص٣٧).

ذلك أن المشكلة الأساسية لدى من لا يقرأ هو أنهم لا يملكون أية أهداف، أو أية برامج، ومن أجل هذا فرطوا في أوقاتهم، ونسوا ملأها بما يفيد.

ومن المقترحات في اغتنام الوقت أن نجعل ساعة معينة كل يوم نمارس فيها القراءة، وهذه الساعة حتمية لا يسمح لأحد بالدخول فيها، أو تضييعها، ولتكن في أول الأمر بضع دقائق مرتبة كل يوم، ثم ما تلبث أن تزيد فتبلغ الساعات بعد زمن، لكن لا بد من الالتزام التام الذي لا يتخلف.

ثم إنه لو ثبت على قراءة صفحات قليلة فإنه سوف يجني في آخر شهره عشرات الصفحات وينهي كتاباً أو كتباً بهذه الطريقة اليسيرة.

ويضاف إلى هذا الوقت المخصص تلك الأوقات الميتة التي كثيراً ما نقضيها في وسائط النقل، أو عند أبواب العيادات، أو مما يلزمنا الانتظار فيها... فهذه الأوقات ينبغي أن نحييها بالقراءة والمطالعة، قال الزَّرْنُوجي (ت٦٤٠هـ): «و ينبغي أن يستصحب دفتراً على كل حال ليطالعه، وقيل: من لم يكن له دفتر في كُمِّهِ لم تَثبت الحكمة في قلبه»[(١)].

🕮 مجالسة عشاق القراءة والمدمنين على الكتب:

لا ريب أن صحبة البطالين والفارغين يورث الإنسان ميلاً لطباعهم، وصدوداً عن معالي الأمور، وفضائل الأعمال؛ ولذا

(١) انظر: تعليم المتعلم للزرنوجي (ص٥٤).

كانت مصاحبة أهل الفضل والعلم دافعاً للإنسان إلى محاولة اللحاق بهم، واستنان أفعالهم، وهذا مشاهد منظور، وواقع محسوس ككون كثرة المؤاكلين أشحذ لشهوة الطعام من الانفراد لوحده؛ والعرب تقول: «لهو أعدى من الثُّؤباء»[١]؛ ذلك أن من تثائب مراراً، وهو تجاه عين إنسان سرى التثاؤب إليه، ومن أجل ذلك كانت مصاحبة أصحاب الجلد في القراءة واقتناء الكتب يورث محبة القراءة، و قرباً للكتاب.

وينبغي أن تتصدر أفكار الكتب أحاديثنا في لقاءاتنا ومنتدياتنا؛ بدلاً عن الأحاديث في مجريات الناس ولهواتهم... وهذا له أثر كبير في ذيوع القراءة وحث الناس عليها.

○ وفي نهاية هذه الخطوة اذكر لك قصصاً ثلاث، متفاوتة في الاهتمام بالقراءة والشغف بها، ولكل واحدة منها مدلولها الخاص:

● (أحمد) رجل ستيني، قد أبيض عارضاه، يقضي نهاره كله وشطراً من ليله في قيادة أحد المركبات الكبيرة المخصصة لنقل الأترية وشبهها؛ غير أن تقدمه في السن، وكذا عمله المضني لم يقفا حجر عثرة في البحث عن وقت للقراءة...لقد كان ينتهز الوقت القصير الذي يقوم (الدرك

(١) انظر: الحيوان للجاحظ (٢/ ١٤٠)، مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٥٤).

تر) بإفراغ التراب في مركبته، ليطالع في كتابه، بالإضافة إلى ما يتسن له من وقت إذا خف عنه العمل.. حتى إنه قرأ كثيراً من كتاب(البداية والنهاية).

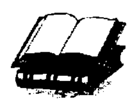
- (سير وليم أوسلر) طبيب مشهور، مشكلته كانت هي مشكلة كل رجل مشغول، لا يجد الوقت الكافي لممارسة القراءة؛ لأن جل وقته يقضيه في عمله، ثم ما فضل منه فللنوم وحاجياته التي لا بد منها في حياته.

إزاء هذه المشكلة التي يشكو منها الكثير، خاصة أولاء الذين لا يجدون وقتاً للقراءة، حاول (سير) أن يصل إلى حل لهذا؛ فكان من أمره أن جعل وقتاً قصيراً بمعدل ربع ساعة يومياً قبل أن يخلد للنوم يقضيه في القراءة، وجعل هذا الوقت واجباً يومياً لا يمكن أن يتخلف عنه أبداً. حتى في أصعب الظروف، ولو أوى إلى فراشه متأخراً! وشرط أن تكون قراءاته هذه مقطوعة الصلة بعمله؛ وقد تم له هذا على مرور نصف قرن لم يتخلف يوماً واحداً.

والنتيجة أنه أصبح واسع الإطلاع في جميع الموضوعات؛ وجمع حينئذ بين التثقيف المهني والتثقيف العام.

- (أبو محمد) قارئ من الطراز الأول، يعيش مع كتبه التي يقرؤها وينعم النظر فيها، حتى يتشربها، ويتحفظ جملاً وفقراً منها... ثم تجده يبث تلك الأجواء التي قضاها في

مجالسه الخاصة؛ فيثني على كتاب، وينقد آخر، ويذكر قصة من هذا الكتاب أو ذاك،أو طرفة من هنا أو هناك؛ كأنه لم يقرأ كتاباً، وإنما لقي إنساناً فتباحث معه وأخذ من علمه وفوائده، وكما قيل: «قراءة الكتب أبلغ في إرشاد المسترشد من ملاقاة واضعيها»[١].

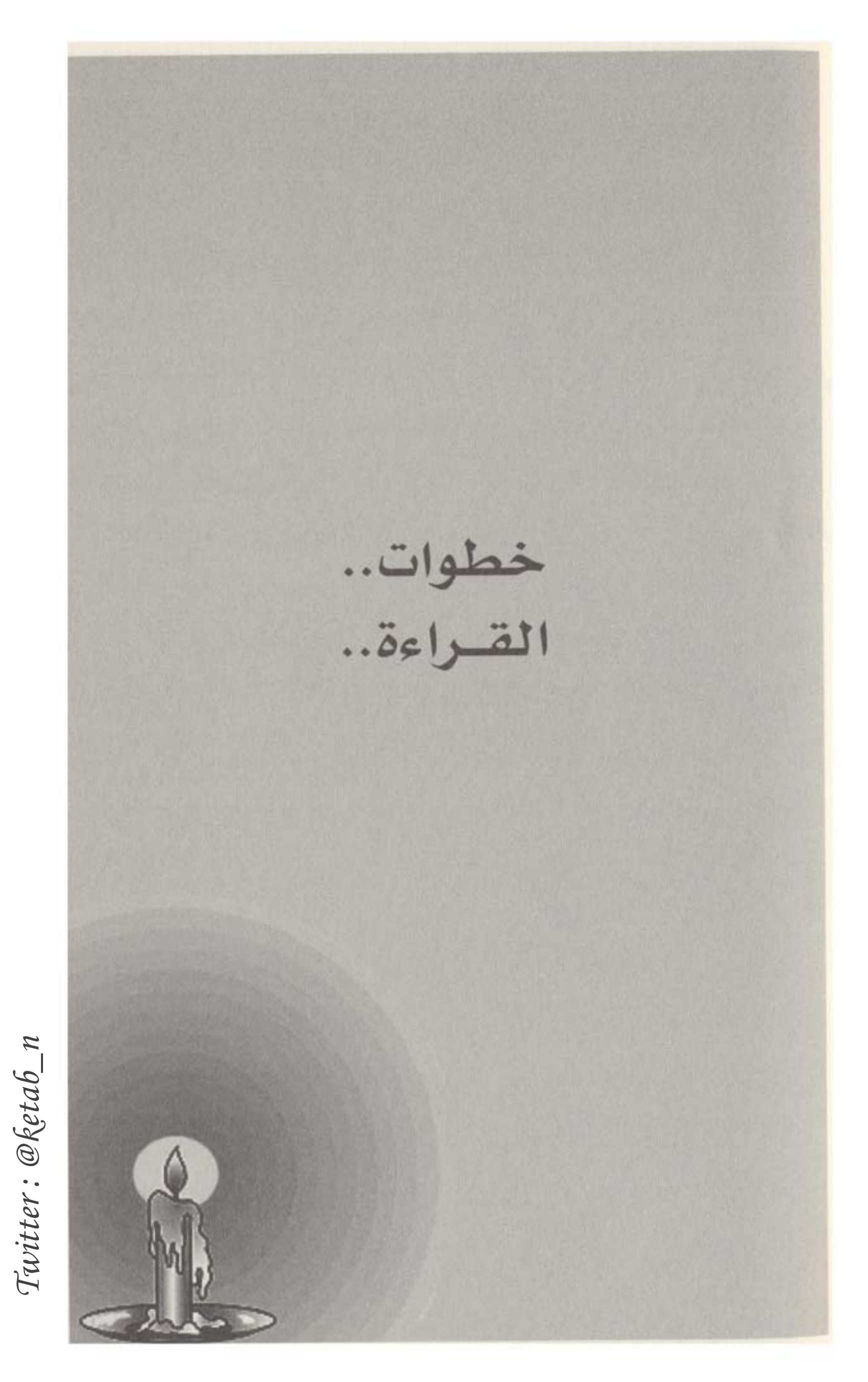


(١) تقييد العلم (ص١١٨).

سئل ڤولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) عمن سيقود الجنس البشري؟

فأجاب: «الذين يعرفون كيف يقرؤون».





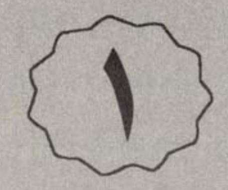
خطوات..
القــراءة..

قيل لابن المبارك (١١٨-١٨١): تكثر من القعود في البيت وحدك، قال: «ليس أنا وحدي أنا مع النبي -ﷺ- وأصحابه بينهم؛ يعني النظر في الكتب».

و قال: «من أراد أن يستفيد، فلينظر في كتبه».

الجامع للخطيب (٢/ ٢٤٩)





الاحتساب

إن احتساب الأجر والمثوبة من عند الله في أداء الأعمال كلها مطلوب حتى في المباحات فضلاً عن الطاعات، ومن فُضالة القول أن نذكر أن تقبل العبادات وصحتها منوط بالإخلاص لله تعالى؛ ولذا كان استصحابه في جميع العبادات فريضة لا تتم إلا به، ومنها تعلم العلم فإنه أول ما يلقن به الشادي، ويذكر به...

إن النصوص الكثيرة أتت محذرة من تعلم العلم لنيل عرض من الدنيا، ومنه الوعيد الشديد بأن أول من يقضى عليه يوم القيامة ثلاثة: أحدهم: «**رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، لِيُقَالَ: عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ، لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»(١)، وفي خبر أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، **يَعْنِي رِيحَهَا**(٢).

وإذا نظرنا في القراءة وجدنا منها ما يكون بدافع العلم الشرعي وهذا الاحتساب فيه ظاهر، لكن ما كان منها في غيره وهو مما ينتفع به ففي الاحتساب فيه ثمرات كثيرة:

---

(١) أخرجه مسلم (ح ٣٥٢٧) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود(ح ٣١٧٩)، وابن ماجه (ح٢٤٨)، وأحمد (ح٨١٠٣)، والحاكم (٨٥/١) ، وقال: سنده ثقات رواته على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في اقتضاء العلم العمل (ح ١٠٢).

أحدها - وهي أهمها -: نيل الأجور والمثوبات في قراءته تلك.

وثانيها: ما ينتج عن استصحاب الاحتساب من الدافعية نحو القراءة والمداومة عليها، والاستفادة البالغة منها، وهذه الخلة الكريمة هي التي تدفع القارئ نحو القراءة، وتجره إليها جراً، وينتج عنها ومنها الفاعلية لما يقرأ، والقابلية له.

- وأخبار السلف في هذا الباب كثيرة شهيرة تدل على شدة إخلاصهم، واحتسابهم؛ فما الذي يدفع المرء إلى تعلم العلم وهو يعالج سكرات الموت وغصصه، فإذا هو يتعلم مسألة لم يتعلمها من قبل، أو فكرة لم يعرفها من قبل.. أليس هو احتساب الأجر من عند الله سبحانه وتعالى!!.

- منه ما وقع للقاضي أبي يوسف (١١٣-١٨٢) صاحب أبي حنيفة حينما أتته المنية وهو يتذاكر مع إبراهيم الجراح (ت هـ - ٢١٧) في مسألة في الحج وهي (أفضلية الرمي راكباً أم ماشياً)[١].

- قال يحيى بن منده (٤٣٤-٥١١) «قدم الساجي (٤٤٥-٥٠٧) وسمع من أبي كتاب (معرفة الصحابة)، وكتاب (التوحيد)، و(الأمالي)، و (حديث ابن عيينة) لجدي، فلما أخذ في قراءة (غرائب شعبة)، وبلغ إلى حديث عمر في لبس الحرير كان

(١) انظر: الجواهر المضية للقرشي (١/٧٦).

الوالد في حال الانتقال إلى الله، وقضى نحبه عند انتهاء ذلك بعد العشاء الآخر، هذا ما رأينا»[١].

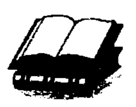
- وربما قدموها على نوافل العبادة قال ابن وهب: «كنت عند مالك بن أنس فجاءت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه، وانظر في العلم بين يديه فجمعت كتبي وقمت لأركع، فقال لي مالك: ما هذا؟ قلت: أقوم للصلاة، قال: إن هذا لعجب!، فما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه، إذا صحت النية فيه»[٢].

- ابن دقيق العيد (٦٢٥- ٧٠٢) لما وصل إليه الشرح الكبير للرافعي (٥٥٨-٦٢٤) اشتغل بمطالعته، وصار يقتصر من الصلوات على الفرائض فقط، ولعل المراد مع توابعها[٣].

و

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجني عليه اجتهـــاده

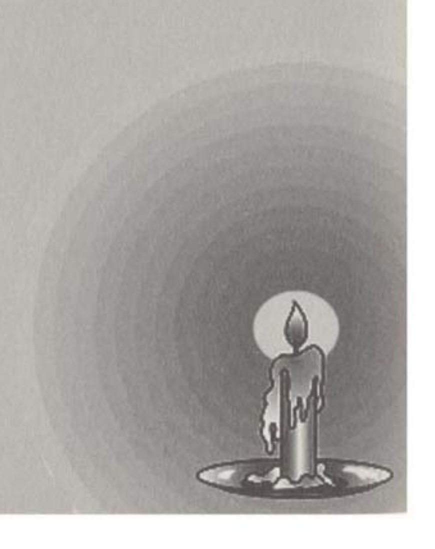


(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (١٢٤٨/٤).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٢٢).
(٣) انظر: جواهر العقدين للسمهودي (١١٩/١).

«ما دخلت على رجل قط، ولا مررت به فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد؛ إلا اعتقدت أنه أفضل منه وأعقل».

أبو عمر بن العلاء (٧٢-١٥٤)

الحيوان (٦٠/١)





التأسيس أولاً

إن القراءة إذا كانت مبنية على أساس صحيح لا ينصدع، وقاعدة صلبة لا تنخرم، وكان التكوين العقدي والفكري للقارئ سليماً، فإن هذا لا ريب يحميه في مستقبل أيامه من الموجات والتيارات المتعددة، بل يكون هذا دافعاً له إلى القراءة الواعية الناضجة.

قال البحتري (٢٠٦-٢٨٤):

إذا ما الجرح رمَّ على فساد   تبيَّن فيه تفريط الطبيب

وهذا الوعي الثقافي والفكري الصحيح يمكن أن نؤسسه لدينا ولدى من تحت أيدينا من الناشئة، نحتمي خلفها من عاديات الطريق واختلال المناهج، ويكون هذا الوعي مؤسس من خلال أمرين أو أحدهما:

📖 الأمر الأول:

حضور مجالس أهل العلم ودروسهم، خاصة تلك المجالس التي تكون في أصول العلوم وأساسياته.

وعليه الاهتمام أولاً بطلب صلب العلم وعقده في كل فن يريد تعلمه ودراسته.... وهو في علوم الشريعة ما كان من الوحيين الشريفين أو خادم لهما من علوم الآلة، قال الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) «هو الأصل والمعتمد، والذي عليه مدار الطلب، وإليه تنتهي مقاصد الراسخين؛ وذلك ما كان قطعياً أو راجع إلى قطعي...»[١]؛ ثم إذا

(١) الموافقات للشاطبي (١٠٧/١).

أتقنها جيداً انتقل إلى مُلَح العلم، وهي التي لا أثر لها في بناء العقائد والأحكام الشرعية وما إليها، وإنما مكملات ومتممات للعلوم؛ كالحكم المستخرجة لما لا يعقل معناه، أو التأنق في استخراج الحديث من طرق كثيرة لا أثر لها في صحة الحديث أو ضعفه...

والاعتناء بما تقدم له أهمية كبرى في الطلب والتربية، فلا ينبغي المضي إلى ملح العلم قبل أن يستفرغ الطالب جهده في صلبه وأصوله.

إن في غمار الناس من تستهويه ملح العلم عن صلبه ونوادره عن عقده... وهذا المسلك الشطط له أثر في تكوينه العلمي والتربوي؛ فهو تستهويه أبداً الغرائب وشواذ المسائل والشغف بها، وبآحاد المسائل بمعزل عن أصولها وكلياتها، ثم يصيبه ما يصيبه من خفة العقل والنزق والعجب.. الذي يطوح به مرة ذات الشمال، ومرة ذات الجنوب.

🕮 الأمر الثاني:

قراءة الكتب التأصيلية الأصيلة في العقيدة والشريعة قراءة ضبط وتحصيل ودرس، ولتكن هذه القراءة تحت بصر أحد طلاب العلم وإشارته وتوجيهه، بحيث يكون عوناً له على اختيار الكتاب وتذليل صعوباته، ومن الكلم النوابغ : «كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، ومفاتحه بأيدي الرجال»[1].

(١) الموافقات (١/١٤٧).

والقراءة هنا قائمة على الحفظ والتحليل الدقيق لكل ألفاظ النص، ومراجعته مرة بعد أخرى، وهي صنو القراءة على الأساتيذ والأشياخ.

○ ولا ينبغي له في شدوه أن يعتمد على الكتب فقط، وإنما يأخذ العلم من أهله، قال ابن جماعة (٦٣٦-٧٣٣): «إن العلم لا يؤخذ من الكتب فإنه من أضر المفاسد»[١]؛ وذكر ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨) في مقدمته أن من عوائق التحصيل كثرة التآليف[٢].

وكان من سلف يطلق لفظ (الصَّحَفي) على من يأخذ الكتب بنفسه، دون أن يتلقاها بإسناد معروف إلى مؤلفيها[٣].

ولذا تجد العلماء حذروا من حمل العلم عنه فقال غير واحد، منهم سعيد التنوخي (ت ١٦٧هـ): «لا تحملوا العلم عن صحفي، ولا تأخذوا القرآن من مصحفي»[٤]، لأنه مظنة الخطأ والتصحيف، وللسلامة من التصحيف يقول ابن الصلاح (٥٧٧-٦٤٣): «وأما التصحيف فسبيل السلامة منه الأخذ من أفواه أهل العلم والضبط؛ فإن من حرم ذلك، وكان أخذه وتعلمه من بطون الكتب كان من شأنه التحريف، ولم يفلت من التبديل والتصحيف»[٥].

---

(١) تذكرة السامع و المتكلم (ص١٢٣) .

(٢) انظر: المقدمة (ص٥٢٧).

(٣) وقد ذكر الصفدي في تصحيح التصحيف (ص٢٤٧) أن الصحفي بضمتين لحن، لأن النسبة إنما تكون للمفرد.

(٤) ذكره العسكري مسندًا في تصحيفات المحدثين (٧/١).

(٥) انظر: تاج العروس للزبيدي (٢٨/١).

○ لقد كان منهج سماع الكتب وروايتها عن مؤلفيها معروفاً من أول عهد التأليف، فكان القارئ يأخذ الكتب عن طريق الإسناد المسلسل بالعلماء والقراء حتى منتهاه إلى مؤلفيها، وللمحدثين في هذا الباب شروط وقيود لضبط السماع من الكتب واجتناب التصحيف فيه، وفي هذا غاية الاهتمام بالكتب وتوثيقها، ومن مأثور قولهم: «الأسانيد أنساب الكتب»[١].

وتجد أن الكتب المهمة قد حظيت باهتمام بالغ من قبل العلماء، فتعددت رواياتها حتى بلغت المئين... وتعددت حتى تباينت؛ لأن كل واحد من القراء كان حريصاً أن يأخذ الكتاب من المؤلف مباشرة، ومن الأمثلة الماثلة على البال:

- (موطأ الإمام الكبير مالك بن أنس) (ت ١٧٩هـ) فإن رواته عن مؤلفه كثيرة ومختلفة، وفي الساحة قطعة منها...
- (صحيح الإمام البخاري) (١٩٤-٢٥٦) فإن رواياته أيضاً متعددة؛ وذلك لشهرة الكتاب وذيوعه بين الناس.

ثم إن هذه النسخ لم تذهب هملاً فقد اعتنى بها شُرَّاح الكتب، وأداروا كتبهم على إيرادها ، لاسيما تلك التي توضح المعنى وتبرزه، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) انظر: فتح الباري (١/٥).

- شرح القسطلاني(٨٥١-٩٢٣) على صحيح البخاري الذي سماه (إرشاد الساري) فإنه أدار كتابه كله على إيراد الاختلاف بين النسخ وما إليه.
- كتاب ابن السيد البطَلْيوسي (٤٤٤-٥٢١) (الاقتضاب شرح أدب الكتاب) فإنه أشار في شرحه إلى الاختلاف الواقع بين النسخ في كتاب ابن قتيبة (٤٤٤ ـ ٥٢١) (أدب الكاتب) حال الحاجة.

○ إن الأصل في الأطعمة والأشربة نماء الجسم وقوامه، وبفقدها هلاكه وعطبه؛ ومع هذا فقد يكون بسببها اعتلال النفس، أو عطبها وموتها... قال ابن الرومي (٢٢١-٢٨٣):

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام ومن الشراب

والفكر الإنساني إنما يقوم وينشأ بطعام خاص وبغذاء خاص... أجله الكتب، التي بها بناؤه، حيث إن «الكتب طعام الفكر» كما يقول العقاد (١٣٠٦- ١٣٨٣) [1]، وبه يتأثر الفكر صحة وفساداً؛ واستقامة واعتلالاً.

فالكتب كما تُقَوِّم أود الفكر وترعى تجلياته وهذا الأصل؛ فإن منها ما يمرضه ويعطبه، واختيار نوع الكتب دال على عقل من اختارها ومدى تفكيره؛ كما قيل: أخبرني ما تقرأ؟ أخبرك من أنت!

(١) أنا (ص٨٨).

ولقد كنت أعجب من أناس قد انتحلوا أفكاراً غريبة، ومناهج عجيبة، دخيلة عن محلتهم، لم يعرف لهم أساتيذ في ذلك المشرب، ولا أتراب ممن عرف بهذا الفكر، فمن أين يا ترى تسربت إليهم تلك المسارب وكيف ابتلوا بهذه الأوصاب[١]!!

إن المتأمل في حال هؤلاء يجد أن هذه الأفكار والتوجهات قد استلبوها من بطون الكتب، من غير علم يرشدهم، أو دين يزجرهم، فطبعت هذه الكتب فكرهم بطابع خاص، فآتت أكلها بعد حين من الزمن شكاً وانحرافاً لازمهم سائر أيامهم، وخير شاهد ما تنفذه تلك الأفواه والأقلام عبر وسائل الإعلام المختلفة من فكر فاسد ورؤى منحرفة.

○ لقد كان السلف الصالح يحذرون من المبتدعة وأصحاب الضلالة أيما تحذير، ويأمرون بهجرانهم في مجالسهم ومنتدياتهم، وهذا عنهم كثير مستفيض[٢].

فإذا كانت مخالطتهم بالأبدان قد نهى عنها السلف فإن مخالطة أفكارهم، ومعاشرة آرائهم أشد وأعظم، وتأثيرها للمتلقي أنكى.

وانتبه لهذه النصحية الغالية من الإمام ابن حزم (٣٨٤- ٤٥٦) حيث يقول: «لا تضر بنفسك في أن تجرب بها الآراء الفاسدة؛ لتُري المشير بها فسادها»[٣].

(١) الأوصاب: الأمراض.

(٢) انظر على سبيل المثال: البدع والنهي عنها لابن وضَّاح (ص٤٧-٤٨).

(٣) مداواة النفوس (ص٦٧).

○ ومن أجل هذا أجاز العلماء حرق وإتلاف الكتب المضلة، ولا ضمان فيها، وطبقوا هذا عملياً ومنه:

● لما مات علي بن الحسين الجابي (ت٧٠١هـ) وكان مغرماً بجمع الكيمياء توجه شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٦) فاشترى منها جملة وغسلها في الحال، وقال: «هذه الكتب كان الناس يضلون بها وتضيع أموالهم فافتديتهم بما بذلته في غسلها»[١].

● عبد السلام بن عبد الوهاب الجيلي (ت ٦١١هـ) فقد أُحرق ما عنده من كتب في الفلسفة والسحر وعبادة النجوم في مرأى من العلماء والقضاة وعوام الناس...[٢]

● قال مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي (٦٧٣-٧٤٨) عن كتب الفارابي (٢٦٠-٣٣٩): «له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدي منها، ضلَّ وحارَ، منها تخرَّج ابن سينا »[٣] (٣٧٠-٤٢٨).

قال شوقي (١٢٨٥-١٣٥١) [٤]:

(١) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٣/٣٩).
(٢) انظر: ذيل الطبقات لابن رجب (٢/٧٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/٤١٧).
(٤) الشوقيات (٢/١٧).

تجـد الكتب على النقد كـمــا

تجـد الإخـوان صـدقـاً وكِـذاباً

فـتـخـيَّـرهـا كـمـا تخـتـاره

وادَّخر في الصَّحب والكتب اللُّبابا

صـالح الإخـوان يبـغـيك التُّـقى

ورشـيـد الكتب يبـغـيك الصـوابا



قيل لأرسطو: كيف تحكم على إنسان؟

فأجاب: أسأله كم كتاباً يقرأ؟ وماذا يقرأ؟



٣

الهدف

إن تحديد الهدف من القراءة من العوامل الأساسية التي تزيد من فاعلية القراءة، وما يتحصَّل منها من ثمرات وعوائد، لكن نجد كثيراً من القرَّاء يُغفل مساءلة نفسه عن الهدف التفصيلي الذي يقرأ لأجله، مع أن تحديد ذلك بدقة مهم جداً، لتحديد ما يلائم الهدف من أنواع الكتب، وأضرب القراءة ومستوياتها، ومن ثم رسم ما يناسبها من ذلك...

والناظر في واقع الناس يجد أن أهدافهم من القراءة ذات أنواع مختلفة، ربما تتداخل بعضها في ذهن القارئ عند ممارسة القراءة فيجمع فيها أكثر من هدف، وهي متعددة المناحي والأغراض، ولكن الأهداف العامة لقراءة معظم الناس ثلاثة وهي:

🕮 الهدف الأول:

القراءة من أجل التسلية، وتزجية الوقت وملء فراغات الوقت بالقراءة والمتعة بها، والمظنون بهاته الفئة من القراء أنهم لو وجدوا المتعة والتسلية في غير القراءة لمضوا إليها قدماً أينما كانت في أحلاس القهوات، أو أمام القنوات... ومع هذا فإن «أفضل ما يقطع به الفُرَّاغ نهارهم، وأصحاب الفُكاهات ساعات ليلهم الكتاب»[1]؛ إذا اجتنبوا الكتب الرخيصة التي بها تنحط العواطف وتسفل المشاعر.

(١) الحيوان للجاحظ (٥٢/١).

○ ويلاحظ على هذا النوع من القراءة ما يلي:

● أن القارئ الذي يقرأ من أجل هذا الهدف يختار الكتب المحببة لديه؛ ولذا كانت الروايات الأدبية والقصص ونحوها أكثر رواجاً لدى هذه الفئة من الناس، لما تحويه من السهولة والإثارة، وهذا النوع من القراءة هو الأكثر شيوعاً وذيوعاً بين الناس.

● أن الجهد الذي يبذله هؤلاء القراء محدود، وتفحص المقروء فيها قليل، تراه لا يبالي بالفوائد التي تمر عليه، سواء في كتابتها أو استرجاعها، ولربما كان يمارس القراءة في حالة الاسترخاء، أو من أجل استمطار النوم واستجلابه...!!

مع أن من القراء الأوائل من يطرد نومه بالقراءة، طرباً للفوائد وانتعاشاً للملح والنوادر؛ كحال ابن الجهم (١٨٨-٢٧٧) في قراءته حيث يقول: «إذا غشيني النعاس في وقت نوم - وبئس الشيءُ النوم الفاضل عن الحاجة - فإذا اعتراني ذلك تناولت كتاباً من كتب الحكم، فأجد اهتزازي للفوائد، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة...»[١].

○ القراء الجادون لا يعمدون إلى هذا النوع من القراءة، إلا في حال الإحماض والإجمام بعد الإجهاد في ممارسة القراءات الجادة، في الفصل بينها، أو الاسترواح بعدها من كد الجد والتعب، ومع هذا فإنهم يرسمون لأنفسهم منهجاً في قراءتهم يعود عليهم بالفائدة، مع أن قراءتهم تلك كانت للمتعة.

---

(١) انظر: الحيوان (٥٣/١)، المحاسن والأضداد للجاحظ (ص٤).

إن الاسترواح بعد القراءات الجادة، والدرس الجاد كان منهجاً متبعاً عند المتقدمين قبلاً، فالمحدثون مثلاً -وهم من هم في الجد- يعقدون باباً في كتب مصطلح الحديث بعنوان (آداب المحدث) ذاكرين من آدابه ختم مجالس التحديث بالنوادر والملح والأشعار، قال الحافظ العراقي (٧٢٥-٨٠٦) في ألفيته[١]:

واستُحسن الإنشاد في الأواخر بعد الحكايات مع النوادر

ويسمى (إحماضاً) أخذاً من الحمض، وهو ما ملح وأمر من النبات، وهو فاكهة الإبل، فيقال: أحمض القوم إذا أفاضوا فيما يؤنسهم، وقد روي أن ابن عباس (ت ٦٨هـ) يقول: إذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير: أحمضوا، ضرب ذلك مثلاً في الأحاديث وأخبار العرب إذا ملوا تفسير القرآن[٢].

وصفوة القول أن تجعل هذا الضرب من القراءة والانبساط فيها سلماً إلى جدك، ودافعاً إلى قراءات أخرى جادة ومثمرة.

🕮 الهدف الثاني: القراءة من أجل الاطلاع على معلومات، أو تنمية مهارات:

يمارس شريحة من القراء هذا الهدف للاستزادة من معلومات تهمهم في علم من العلوم، أو قضية من القضايا، أو لتنمية مهارة لديه وإتقانها...

(١) انظر: شرح الألفية المسمى (فتح المغيث) للسخاوي (٢/٢٧٣).
(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (حمض) (٥/٢٣)، التوبيخ للسخاوي (ص٧٧).

وهذا النوع شائع جداً، نظراً لسهولته وسرعة الوصول إلى مبتغاه بأقل وقت وجهد؛ ولذا كان الممارس له يعد حقيقة متصفحاً للكتاب، لا يعيره اهتماماً إلا بقدر ما يمر به من فوائد ومسائل يبحث عنها، فهو حقيقة يزيد في حصيلته العلمية، لكن لا يبني فكراً ، بل يكون ممارسه مثقفاً بقدر ما يحمل من معلومات جامدة لا تثير عنده تساؤلات تدفعه نحو الأمام، وهي كذلك لا تصنع فقهياً بقدر ما تصنع عارفاً للمسائل الفقهية ودقائقها، يقف عند المنصوص منها ويحار عند المسكوت عنها...

لكن ليس هذا الكلام نفياً باتاً لاستخدام هذا الهدف في القراءة، وإنما أن يجعل هو الهدف الأسنى الأوحد الذي يعمد إليه القارئ كلما فزع إلى القراءة واحتاج إليها.

ومن الأمور التي يتأكد فيها استخدام هذا النوع من القراءة تأكيد وتعزيز التخصصات التي يهتم بها القارئ؛ من خلال قراءة الكتب المتعددة في فن من الفنون، بحيث يغدو فيها ضليعاً، أو يجيب عن تساؤلات طرقها في بحث يخصه، ففيها إثراء للمعلومات وتنويع للمصادر.

○ ومن المهم أن لا يكون عماد قراءته أنه إنما يقرأ ليكتب؛ فهو حينئذ يكون موصل رسائل كما يقول العقاد (١٣٠٦-١٣٨٣)[(١)]؛ ولذا تجده لا يحفل بما في الكتاب من فوائد وأفكار إلا ما يغذي ما يكتبه أو يذيعه... ومن لطيف ما يذكر

(١) أنا (ص٨٤).

قصة الإمام عبد الله العُكْبَرِي الضرير (٥٣٨-٦١٦) فإن أحدهم سماه بـ (تلميذ تلامذته)، وسبب هذه التسمية أنه كان إذا أراد أن يصنف كتاباً أحضرت له عدة مصنفات في ذلك الفن، وقرئت عليه، فإذا حصلها في خاطره أملاه[١].

وهذا يوجه لمن يكون عامة قراءته على هذا النحو السالف، وإلا فإن البحث والكتابة يعتبران أعلى مستويات القراءة وأنضجها، بل هو هرم التأمل والتفكير ومنتهاهما، وقد تفطن لهذا الوزير ابن هُبيرة (٤٩٩-٥٦٠) فقد ذكر أن ضروب تحصيل العلم ثلاثة ... منها: «التصنيف؛ فإنه يخرجه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه»[٢].

ونجد في واقعنا أن من يكتب ويؤلف أكثر من غيره نضوجاً، وأبعد قاعاً، ذلك أنه مارس تأمله وتفكيره كتابة بعد أن كانت حبيسة الذهن، فقويت وتغذت بسقيها ومعاودة النظر فيها، وقراءة عشرات الكتب في الموضوع، ومباحثة أهل الشأن فيها؛ وهذا يعتبر قمة التفاعل...

○ من أضرب القراءة التي تقوم على هذا الهدف «**القراءة الموجهة لموضوع واحد**»؛ وهي قراءة كتابين أو أكثر في موضوع واحد، وهي قراءة المراجع، ويلجأ إليها القراء عادة عند الهم

(١) انظر: ذيل الطبقات لابن رجب (١١١/٢).
(٢) المصدر السابق (٢٧٤/١).

في كتابة البحوث والدراسات، أو من أراد التعمق في مسائل وقضايا معينة...

وهذا النوع من القراءة له عوائد وفوائد إذا طبق بشكل صحيح، ومن المقترحات التي تُفعِّل هذه القراءة الأمور التالية:

- إنشاء قائمة بالكتب ذات العلاقة بالموضوع المراد، لا يغفل شيئاً منها، ويتم هذا عن طريق البحث في فهرسة المكتبات العامة، أو عن طريق الحاسب الآلي... أو غيرها، وكلما كان هذا الفهرس شاملاً للموضوع كانت ما بعده من الخطوات قائمة على ركيزة صحيحة.
- فحص قائمة الكتب بدقة، واستبعاد الكتب التي لا تكون لصيقة بالموضوع، أو يغني غيرها عنها، وترتيبها على حسب أهميتها ونفاستها، ويتم هذا بسرعة فائقة.
- تصفح الكتب المنتقاة كتاباً كتاباً... وقراءتها قراءة سريعة فاحصة، ووضع علامات ورموز على الأبواب والفصول والمقاطع المهمة، التي تكون لصيقة بالموضوع.
- من خلال القراءة السريعة يمكن وضع أسئلة أو نقاط حول الموضوع المراد بحثه إذا لم يكن وضعها من قبل، و تكون هذه السؤالات مرتبة ومتسلسلة، مع مراعاة الدقة والشمول في وضعها؛ والاهتمام في هذا راجع إلى أنها الأساس الذي يقوم عليه البحث والقراءة ...

- تأتي المرحلة الأخيرة وهي: قراءة الأبواب والفصول والمقاطع المهمة، التي سبقت الإشارة إليها، ولا بد أن تكون القراءة هنا قائمة على الدرس والضبط والتحليل لجميع أفراد النص، ومن خلالها يتم الكشف عن أجوبة التساؤلات السابقة، وتوزيع النصوص عليها وما إليه... و بهذا يتم وضع النقاط على الحروف.

📖 الهدف الثالث: القراءة الاستيعابية:

وأعني بها القراءة من أجل توسيع دائرة الفهم والمدركات، أو إيجاد مهارات فكرية أو عقلية.

إن القراءة القائمة على الفهم والاستيعاب من أشق أنواع القراءة وأكثرها فائدة؛ لأن فيها تحسيناً لفهم القارئ والارتقاء بمستواه نحو أفق الكتاب والمؤلف.

وقد يتطرق إلى جمهور القراء أن من شرط القراءة (من أجل توسيع دائرة الفهم) خلو الذهن وفراغه تماماً من الأفكار التي يطرحها الكاتب، بحيث لا يكون عنده عن الكتاب فهم سابق بقليل أو كثير، ولا لحمة نسب بينه وبين الفكرة التي يتعرض لها المؤلف، والأمر ليس كذلك، وإنما نعني أن هذا الضرب من القراءة يعتني بفكرة الكتاب ورسومه الأصلية والفرعية ويربط بينها برابط رفيع، لا يهمل حقائق المسائل، وأسبابها ودقائقها، ثم يربطها بما معه من علم وخواطر تتوالد من القراءة والتأمل..... ولذا فكما أن هذه القراءة تمارس في العقليات، فكذلك تمارس في النقليات وعلوم الآلة...

- وأنا هنا أمد في الكلام مداً وأسوقه سوقاً من أجل مزيد الجلاء لهذا الهدف، فأقول:

إن بالإمكان ممارسة هذا النوع من القراءة في الفقهيات مثلاً؛ من خلال الاعتناء بتصوير المسائل وإيقاعها على مرادها وفي هذا ما فيه من التأمل، ثم النظر في الدلائل التي أوردها المؤلف، وهل لهذا حظ من النظر، وهل هي من موارد الإجماع أو مواقع الاختلاف وسند ذلك، ثم ربطها بنظائرها المتناثرة في الأبواب، وكيف حصل الاتفاق بينها، أو ما وجه الافتراق بينها... وهكذا تجد أنك تمارس هذا الهدف، وتجني من خلاله نتائج جيدة، بينما من يقرأ ليحفظ المسائل لا غير ويسلم ما فيها فهو يقرأ من أجل المعلومات.

- ويمكن أيضاً أن تمارس في التواريخ وحوادث الأمم، فالذي يقرأ من أجل معرفة الحوادث وكيف حصلت ومسبباتها، وربط بعضها في بعض، وإيجاد قواسم مشتركة فيما بينها، وتلمس العلل والأدواء، ثم أخذ الدروس والعبر فهذا يمارس القراءة الاستيعابية ، أما الذي يعتني فقط بسرد الأحداث والاعتناء بها والانبساط إليها، أو الانقباض عنها.. فقراءته تلك من أجل المعلومات... وقل نحواً من هذا الكلام في سائر العلوم.

ويمكن أن نضبط القراءة الاستيعابية التي نرمي إليها بأمرين اثنين [1]:

---

(١) انظر: القراءة المثمرة د/ عبد الكريم بكار (ص٢٩-٣٤)، كيف تقرأ كتاباً لمورتيمر آدلر (ص٢١-٢٥).

الأمر الأول: ألا يكون الكتاب المقروء مساوياً للقارئ في الفهم مطلقاً، وحينئذ لا يزيد فهمه من قراءة هذا الكتاب، بمعنى آخر أن يكون الكتاب الذي تطالعه لا يضيف لك معلومات وأفكاراً أساسية... لها أثر في تكوينك العلمي والثقافي، وإنما يضيف لك آحاد المسائل والأفكار، أو قد يذكرك إياها؛ فهذا يندرج تحت القراءة من أجل المعلومات التي سبق الحديث عنها.

الأمر الثاني: أن يكون القارئ قادراً على مجاوزة عدم المساواة بينه وبين الكتاب، بحيث يرتقي إلى مصافه، فإن لم يكن كذلك فإن القارئ لن يستفيد من هذا الكتاب، بل قد يكون ضرباً من الألغاز.

○ وهنا أمر مهم له تعلق بهذا الهدف، وهو هل قيمة الكتب ونفاستها تكمن في استغلاقها، وجمود تراكيبها، وغموض معانيها... أو هي التي يرمي القارئ إلى معانيها مرة بعد مرة.. فلا يتمكن من الوقوف على فهمها، أو يجدها طوداً عائقاً عن النفاذ إليها !!..

وهل أقل الكتب وأرخصها معناً تلك الكتب التي قصد مؤلفوها إلى معانيها وأفكارها بأسهل عبارة، وبكثير من التهذيب والترتيب...!!

إن من القراء من يعجب بالأول ويحفل به، ويكرره بغية النفاذ إلى لبابه - وقد يكون لا لباب له - وقد يتبادر إليه أن

استقفاله واستغلاقه عليه راجع لما يحويه من معان ومضامين عالية؛ ولذلك أقفلت بأقفالها...

إن الكتاب إنما يشرف و ينفس بما يحويه من معان وأفكار ومسائل، بقطع النظر عن سهولة أسلوبه وقرب مأخذه، أو لم يكن، فإذا انضاف إليه حسن الأسلوب ووضوح الفكرة كان جمالاً إلى جمال وحسناً إلى حسن.



كان شافع بن علي العسقلاني (ت٧٣٠ هـ) كفيفاً وكان مغرماً بجمع الكتب، حتى إنه من شدة حبها إذا لمس كتاباً منها يقول هذا الكتاب قد ملكته في الوقت الفلاني، وإذا طلب منه شيء منها قام إلى خزانة كتبه فتناوله كما وضعه فيها.

الدرر الكامنة (٢/١٨٤)



٤

التعرف على الكتاب



حتى تكون القراءة فاعلة ومثمرة لا بد قبل بداية قراءة كتاب والنظر فيه من معرفة الكتاب معرفة كاشفة من جوانب متعددة وهي:

📖 الجانب الأول: معرفة هُويَّةِ الكتاب، والفن المعرفي الذي ينتمي إليه:

ويتم هذا عن طريق:

○ النظر في طُرَّة الكتاب والتمعن في عنوانه؛ حيث إنه يمكن أن يعطي معلومات أساسية عن الكتاب قبل أن يباشر القارئ قراءته؛ وقد يكون إدراك ذلك سهلاً لا يحتاج إلى عناء كبير، كما لو كان الكتاب ينص على عنوان الفن، مثل: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧)، والتسهيل في الفقه على مذهب الإمام أحمد لبدر الدين البعلي (٧١٤-٧٧٨)، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (٦٦٦-٧٣٩). بل قد يكون عنوان الكتاب - وهو أحد الظواهر العامة - مدعاة لنقده، قال السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢) عن كتاب (مجمع العشاق على توضيح تنبيه الشيخ أبي إسحاق) : ومن تسميته يعلم حاله [١].

قال الشاعر المهجري إلياس فرحات (١٣١١ - ١٣٩٦):

شر ما يقرأ الأنام كتاب تافه وهو مُذهَّب العنوان

(١) انظر: الضوء اللامع (٩ / ١٢٠)، كشف الظنون (١ / ٤٩٢).

○ وقد يكون العنوان غير واضح في تحديد الفن المعرفي له، أو قد يلتبس بعلم آخر قد يظنه القارئ لأول وهلة، فحينذاك ينبغي للقارئ أن يسبر أغوار الكتاب ويقرأ مقدمته حتى يعرف الفن الذي يبحث فيه، ومن أمثلة ذلك:

• كتاب (التمهيد في تخريج الفروع على الأصول) لجمال الدين الإسنوي (٧٠٤ ـ ٧٧٣)، فقد يظن أنه ينتمي إلى علم الحديث ومصطلحه؛ بينما هو في علم القواعد الفقهية.

• كتاب (إصلاح المنطق) لابن السِّكِّيت (١٨٦-٢٤٤) فقد يظن أنه في المنطق -كما ظنه بعضهم-[(١)] وإنما هو في صميم اللغة وآدابها.

• وقد يكون الكتاب منسوباً إلى فن يخفى على كثير من القراء؛ ككتاب (الفقه الأكبر) المنسوب للإمام أبي حنيفة (٨٠-١٥٠) فقد يقع الظن أنه في الفقه بينما هو في العقائد؛ نظراً لأن التوحيد هو الفقه الأكبر، وكتاب (السِّيَر الكبير) لمحمد بن الحسن الشيباني (١٣٢-١٨٩)، فقد يظن أنه في سيرة الرسول ﷺ أو في سير الرجال، وإنما هو في الجهاد وما إليه.

• ربما كان عنوان الكتاب واضح المعنى، لكن المؤلف قصد إلى معنى آخر لا يعرف وغير شهير؛ ككتاب ابن دريد (٢٢٣-٣٢١) (الملاحن) فإن المتبادر منه ما يقع فيه اللحن من الكلمات

(١) انظر: مقدمة إصلاح المنطق (ص١٢).

والألفاظ، بينما مراده غير ذلك، فهو يقصد باللحن هنا الفطنة، ومراده الألفاظ التي تعطي مدلولاً آخر مغايراً للمتبادر منها.

🕮 الجانب الثاني: معرفة مناسبة الكتاب للقارئ:

ينبغي للقارئ قبل أن يقدم على قراءة أي كتاب أن يعرف أن الكتاب الذي يريد أن يقرأه مناسب له، ومن الفئة التي قصدها المؤلف بالكتاب؛ ذلك أن كل مؤلف وكاتب يريد أن يوصل فكرة معينة فهو يتلمس من يتقبلها وتصلح له، وهذا من أول عهد التأليف، ألم يكن من معهود الأقدمين قولهم في صدر كتبهم: (اعلم رحمك)، و(أما بعد فعلم الفقه بحوره زاخرة...)، و(واقتصرت على إيراد ما لا بد منه وما لا يستغني عنه المحدث الألمعي والطالب الذكي)... فإن هذا الكلام له ما وراءه، وهو يقصد قارئاً محدداً بجنسه لا بعينه...

○ وسوف اضرب لك على هذا مثلين اثنين:

- أولهما: كتاب (المعارف) لابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦) فقد قال في فاتحة كتابه: «هذا كتاب جمعت فيه من المعارف ما يحق على من أنعم عليه بشرف المنزلة..أن يأخذ نفسه بتعليمه، ويروضها على تحفظه؛ إذ كان لا يستغني عنه في مجالس الملوك إن جالسهم.. وحلق أهل العلم إن ذاكرهم...» ثم تكلم على هذا النسق مما يستشف منه أن الكتاب إنما قصد

المتأدبين وأشباههم، وأن في كتابه معارف منثورة في كل فن يقبح الجهل بها...

● الثاني: كتاب (البيان والإعراب عمَّا بأرض مصر من الأعراب) للمقريزي (٧٦٦-٨٤٥) فقد قال في فاتحة كتابه: «فهذه مقالة وجيزة في ذكر من بأرض مصر من طوائف العرب»؛ فهذا بيان واضح لمقصود الكتاب ويتجلى منه:

● أنها رسالة صغيرة الحجم، فإنها لم تتجاوز الأربعين صفحة.

● أنها في علم الأنساب.

● أنها خاصة في قبائل العرب التي سكنت الديار المصرية.

○ إن قراءة كتاب ليس موجهاً إليك قد لا تنفعك بشيء، فهو دائر بين أمرين اثنين:

● إما أنه لم يأت بجديد بالنسبة إليك، حيث إن مستواه دون مستواك بكثير، فلا تستفيد منه إلا ترديداً لمعلومات سابقة، فيضيع منك وقتاً وجهداً لو صرفتهما في غيره لكان أجدى وأنفع، وهذا كمن يقرأ كتب الأطفال بغرض الاستفادة منها فلن يستفيد منها شيئاً، بل إن قراءته تلك تحد من نشاطه العقلي والفكري، وتدعوه إلى الخمول والدعة، وهذا مما لاحظه الأوائل في آداب المعلم للمتعلم[1]، و....

(١) انظر على سبيل المثال: جواهر العقدين للسمهودي (١/٣٠٥).

ليس من الحنظل يُجنى العسل ولا من البحر يصاد الورل[١]

قال ابن حزم (٣٨٤ -٤٥٦): «من شغل نفسه بأدنى العلوم وترك أعلاها - وهو قادر عليه - كان كزارع الذرة في الأرض التي يجود فيها البر، وكغارس الشَّعْراء حيث يزكو النخل والزيتون»[٢].

- وإما أن يكون الكتاب مستواه أرقى منك، فهو معمول لفئة معينة، فالذي يقرأه وهو دونها في المعرفة فربما لا يستفيد منه شيئاً، بل قد تكون قراءته حينئذ ضرباً من الأحاجي والألغاز، علاوة على أن مطالعته لهذا الكتاب قد يكون صاداً له عن مواصلة القراءة في غيره؛ أو يقع في فهوم زائغة لم يردها المؤلف للكتاب؛ ولذا نجد الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) في فواتح كتابه (الموافقات) يشترط على قارئه شرطاً فيقول: «ومن هنا لا يسمح للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه نظر مُفيد أو مستفيد؛ حتى يكون ريَّانَ من علم الشريعة، أصولها وفروعها، منقولها ومعقولها، غير مُخلد إلى التقليد والتعصب للمذهب، فإنه إن كان هكذا؛ خِف عليه ما أَودع فيه فتنة بالعرَضَ، وإن كان حِكمةً بالذات»[٣].

---

(١) عزاه أبو حيان في البصائر (١/١٧١) لأحد الأعراب.
(٢) مداواة النفوس (ص٦٥)، والشعراء ضرب من الحمض.
(٣) الموافقات (١ / ١٢٤).

و«العلوم الغامضة كالدواء القوي يصلح الأجساد القوية، ويهلك الأجساد الضعيفة، وكذلك العلوم الغامضة تزيد العقل جودة وتصفيه من كل آفة، وتهلك ذا العقل الضعيف»[(١)].

🕮 الجانب الثالث: التدرج في قراءة الكتب:

إن بعض الكتب قد كُتبت بتسلسل معين، ففيها يترقى القارئ من الأدنى إلى الأعلى، فيجب عدم تجاهل ذلك ومراعاة هذا في القراءة، حتى تكون الفائدة منها كاملة غير منقوصة.

وهذا أمر واضح في الفنون العلمية حيث راعى العلماء هذا التدرج في مدوناتهم، بل منهم من تفطن لهذا الأمر في كتبه خاصة كالإمام ابن قدامة (٥٤١-٦٢٠) حيث صنف أربعة كتب في فن واحد، هكذا ترقى من الأدنى إلى الأعلى: العمدة، ثم المقنع، ثم الكافي، ثم المغني للمنتهين.

إن الكتب المدونة في فن من الفنون على أضرب متعددة:

- منها: الذي يرسم المعالم العامة للفن، معرفاً بجمهور مسائله وقضاياه، دون الخوض في التفاصيل والتفاريع.
- ومنها: المتوسط بين الاختصار وبين التطويل، فيقع فيه بسط في القول لكن باقتصاد غير مخل.

---

(١) مداواة النفوس (ص٦٦).

- ومنها: المطول الذي أحاط بجميع مسائله وتفاريعه، أو بأكثرها.
- و منها: ما يفرد في آحاد المسائل وأفراد النظريات والقواعد.

وبين هذا وذاك مراتب ومنازل، كل على طريقته وتصنيفه.

وصفوة القول: إن القارئ لابد أن يراعي التسلسل والتدرج في مؤلفات الفن الذي يقرأ فيه، فيقرأ الكتب الأولية ثم يترقى في سلم التعليم من أوله حتى يصل إلى الطوال منه.

ولو أن شداة هذا الفن أو ذاك اتجهوا إلى مطولاته دون أصوله ومختصراته لكان أحدهم يطلب المستحيل في فهمه، ولربما التبس عليه الواضح من مسائله فضلاً عن الغامض منه.. ولاعترته السآمة والملالة من قراءته تلك، وهذا مشاهد منظور .

وطريق معرفة الكتاب المناسب؛ إما بسؤال أهل الخبرة و العلم، أو بقراءة سريعة للكتاب ومعرفة مكنوناته ممن عنده دراية ومعرفة بالكتب.

🕮 الجانب الرابع: معرفة اصطلاحات الفنون:

إن النظر في الكتب من غير إدراك لمصطلحات الفن المرسوم فيه يعد من مزلات الأقدام ، ويجعل القارئ لا يدرك ما يمر عليه من مصطلحات ذلك الفن، وبناء الكلام عليها، وعادات أصحاب الفن، وتصرفاتهم في عرض الكلام وسياق الأدلة...

إن من شرط النظر في الكتاب معرفة اصطلاحات الفنون والتبين من مواقعها، قال الإمام الشاطبي (ت٧٩٠ هـ) «... مطالعة كتب المصنِّفين ومدوني الدواوين، وهو أيضاً نافع في بابه بشرطين: الأول: أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله ما يتمُّ له به النظر في الكتب...»(١).

○ إن القارئ الواعي هو الذي يتعرف على مصطلحات ما يقرأ من خلال النظر في أمرين:

- أحدهما: التعرف على مصطلحات ورموز الفن أو المذهب الذي يطالع فيه، و التنبه لتلك المصطلحات التي تخص فناً بعينه، نظراً لوقوع الاشتباه في أمثالها من الفنون الأخرى... وأنا أضرب لك أمثلة على ما قلت:

- (التنازع) قد يرد في سياق نص نحوي فيعني شيئاً، ويرد في سياق نص تأريخي فيعني شيئاً آخر غير الأول.

- (الباطل)، و (الفاسد) هل هما بمعنى واحد أم بينهما اختلاف؟رأي جمهور العلماء أنهما مترادفتان، لكن من يطالع كتب الفقهاء الحنفية يجد فرقاً بينهما وأن لكل واحد منهما معنى يخصه.

(١) الموافقات (١/١٤٧)، وانظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب (٣٥ فما بعدها).

- (الملتزم) له معنى عند الفقهاء غير المعنى الشهير في أدبيات الثقافة الإسلامية المعاصرة.
- الثاني: أن من الكتب ما له رموز ومصطلحات خاصة بها، قد ارتضاها أصحابها؛ وذلك كألفاظ (اتفاقاً) و (وظاهر الرواية)، و(الشيخ) وأمثالها... فلا بد أن تكون ماثلة أمام القارئ حين القراءة.
- إن هذه الرموز والمصطلحات قد تكون مسطرة في فواتح الكتب، أو في رسائل صغيرة، أو في كتب مفردة تعنى باستجلاء تلك المصطلحات وشرحها... وقد يأتي النص على تلك المصطلحات الخاصة من قبل المترجم أو الشارح أو المحقق أو غيرهم... وقد يتم التعرف عليها من خلال استقراء الكتاب، حيث قد يشير المؤلف إلى شيء منها في ثناياه...

🕮 الجانب الخامس: معرفة مؤلف الكتاب والعلم بناسقه:

هو أحد الرؤوس الثمانية التي ذكرها العلماء التي ينبغي للقارئ معرفتها[١]، وينبغي التفطن للأمور التالية:

- معرفة المؤلف والفن الذي ينتمي إليه، ومقارنة ذلك مع موضوع كتابه، فإنه إن كان قد كتب في فنه المبرز فيه والمشار إليه؛ فهذا يبعث على زيادة الاطمئنان لما يذكره، والوثوق بنقله

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ب).

ونقده.. فإن لم يكن في فنه المشار إليه فيه فعلى القارئ أن يتبين كل التبين في قراءته تلك، ويحتاط أتم الاحتياط لما يقوله؛ نظراً لأن قيمة كل امرئ ما يحسن، والناس أبناء ما يحسنون [١]، وقد أشار العلماء إلى أن الرأي المدخول قد يصدر من غير المتخصص فيه فيأتي بالعجب من القول - وإن كان صاحبه من أهل النباهة والعلم- قال عبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في كلام نفيس هذا بعض منه: «واعلم أن القول الفاسد والرأي المدخول إذا كان صَدَرُه عن قوم لهم نباهة وصيت وعلوٌّ منزلة في أنواع العلوم غير العلم الذي قالوا ذلك القول فيه، ثم وقع في الألسن، فتداولته ونشرته، وفشا وظهر وكثر الناقلون له، والمشيدون بذكره، صار ترك النظر فيه سنَّةً، والتقليد ديناً، ورأيت الذين هم أهل ذلك العلم وخاصته والممارسون له، والذين هم خُلَفاء أن يعرفوا وجه الغَلط والخطأ فيه - و أنهم نظروا فيه - كالأجانب الذين ليسوا من أهله في قبوله والعمل والركون إليه...»[٢].

وهذا الحافظ ابن حجر (٧٧٣-٨٥٢) لما ذكر قولاً غريباً لأحد الشرَّاح، نقدَهُ بقوله: «وإذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب»[٣].

(١) انظر: الألفاظ الكتابية للهمداني (ص ج).
(٢) دلائل الإعجاز (ص ٤٦٤).
(٣) فتح الباري (٣/٥٨٤).

• من المهمات معرفة انتماء المؤلف عقدياً وفقهياً ونحوياً... وغيرها، خاصة في كتب التفاسير و شروح الأحاديث، وكتب العربية، والمجاميع العامة التي يتناولها كل أحد على طريقته ومذهبه، «ومن ذا الذي يستطيع أن يفصل نصوص الجاحظ والرماني والقاضي عبدالجبار والزمخشري عن سياقها الاعتزالي، أو يفصل نصوص قدامة وحازم عن الفلاسفة داخل السياق العام للعقل، أو يفصل التضاد بين ابن قتيبة والجاحظ عن التضاد بين النقل والعقل»،[١] ومعرفة هذا الانتماء يثمر ثمرات متعددة منها:

• أن يكون القارئ على تبين من مذهب المؤلف حين عرض المسائل وتصويرها وسياق الأدلة والموازنة بينها... فربما يكون عمله هذا ناتج عن انتمائه، فهو إنما يعرف ما يعرف، أو يصور ما يصور، أو يرجح ما يرجح بناءً على خلفيته العقدية أو المذهبية، وليس هذا - ضرورة - أن الآيات تدل عليها، أو الأحاديث تشير إليها، أو اللغة تقتضيها، أو المسرد التاريخي يدعمها...

• أنه لا ارتباط بين كون المؤلف يفسر آية أو يشرح حديثاً وبين الحق والصواب، فربما دفعه التعصب والمذهبية على حمل الآيات ما لا تحملها، أو صرف الأحاديث عما تدل عليه.

(١) مقدمات منهجية د/ جابر عصفور (ص١٤١).

• قد يمر على القارئ في الكتب العامة غير المتخصصة، أو في العلوم التي تشترك فيها جميع الفئات والطوائف كالتفسير والحديث واللغة... تصوير مسألة من المسائل، أو شرح مصطلح من المصطلحات، أو ذكر حكم غفلاً عن الخلاف والدليل... فإن كان الدارس والقارئ لم يتبين له مستوى الكتاب في هذا الجانب فيمكن له أن يختبر الكتاب من خلال النظر في الحدود أو الأدلة أو غيرها.. ثم ينظر هل منطلق المؤلف في هذه الأدلة وتلك الحدود منطلق عقائدي أو مذهبي؟ فإن كذلك أوجب التنبه لما يطرح أو يورد في غير الفن الذي يشرح أو يتكلم فيه خاصة.

○ أن يتعرف القارئ على الكتاب الذي بين يديه هل سبق العلماء والقراء قبله نقده نقداً عاماً، وذكر ملاحظات عليه رئيسة، فإن كان الأمر كذلك كان من الأجدى التنبه لتلك الملاحظات، وقد تكون هذه الملاحظات عامة غير دقيقة لكنها لها أثر في بناء الكتاب وما قد يكون فيه من زلات، من ذلك:

• ما ذكره المرداوي (٨١٧-٨٨٥) عن كتاب (الفروع) لابن مفلح (٧٠٨-٧٦٣) فإنه بالغ في الثناء عليه، ثم استدرك قائلاً: «إلا أنه رحمه الله لم يبيضه كله، ولم يُقرأ عليه»[(١)].

(١) الإنصاف (٢٣/١).

• وقال ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥) عن كتاب يحيي الأرجي (ت بعد ٦٠٠هـ) (نهاية المطلب): «وفيه تهافت كثير... يدل على أنه لم يتصور هذه الفروع ولم يفهمها بالكلية، وأظن هذا الرجل كان استمداده من مجرد المطالعة ولا يرجع إلى تحقيق»[1].

○ على القارئ أن يتفطن لإغراق المؤلف في الثناء على فكرة الكتاب؛ وذلك بأن المؤلف قد يروم إلى إيصال فكرة ما فيبالغ في الإشادة بها والإشارة إليها، وقد يتحمل في سبيل ذلك الغض والانتقاص من غيرها، ومن المعلوم أن «الإغراق في كل شيء مذموم» كما قاله أبو سليمان الخطابي (٣١٧-٣٨٨)[2].

إن على القارئ التنبه لما يذكره مؤلف الكتاب - سواء في أوله أو في ثناياه أو في آخره - ما يتم به الفائدة منه، أو ما قد يعصمه من الخطأ والجفاء، فقد يذكر ما يكون عاصماً له من الاسترسال مع فكرة الكتاب التي فيها إغراق أو تهميش لجانب آخر مهم... فينبغي الانتباه للتحذير الصادر من المؤلف أو من قراء آخرين للكتاب.

• ومن أمثلة ذلك صنيع الحافظ الخطابي (٣١٧-٣٨٨) فإنه لما ذكر في كتابه (العزلة) ما يحث عليها ويشيد بها، عقد في

(١) ذيل الطبقات (١٢٠/٢).
(٢) العزلة للخطابي (ص١١١) .

آخر الكتاب باباً في التوسط في العزلة وعدم الانجراف إليها.

- ومثله قول الإمام الطبري (٢٢٤-٣١٠) في أوائل كتابه تاريخ الأمم و الملوك: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبلنا بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدي إلينا»[١].

○ **والخلاصة أن يوجه القارئ لنفسه قبل قراءة الكتاب الأسئلة التالية:**

- ما الفن العلمي الذي ينتمي إليه الكتاب ؟
- ما الفئة التي يقصدها المؤلف، وهل أنا منها ؟
- هل الكتاب الذي سوف أقرأه مناسب لمرحلتي العلمية؟
- هل فهمت مصطلحات الفن والكتاب الذي أقرأ فيه؟
- هل الكتاب مندرج تحت فن المؤلف المبرز فيه؟
- ما المذهب العقدي والفقهي..وسواها للمؤلف؟
- هل سبق نقد للكتاب من قراء سابقين؟

إذا تمت الإجابة عما تقدم فلا ضير في قراءة الكتاب.

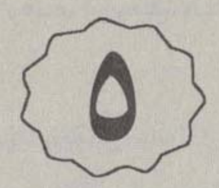
(١) تاريخ الأمم والملوك (٨/١).

«قـالت ابنة أخـتي لأهلنا: خـالي خـيـر رجل لأهله، لا يتخـذ ضـرة ولا يشـتـري جارية، قـال تقـول المرأة: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر».

الزبير بن بكار (١٦٦-٢٥٠)

الجامع للخطيب (١/ ١٠١)





التعرف على المنهج والفن





من الجوانب التي ينبغي التفطن إليها في كثير من القراءات -خاصة التي تكون منطلقة من فنون معينة- التبين لأمرين اثنين ومعرفة ما تحتهما:

📖 الأول: معرفة الخصائص العامة للفن الذي يندرج الكتاب تحته:

إن من المهمات التي لا بد أن تكون على البال قبل قراءة أي كتاب ملاحظة الفن الذي كُتب الكتاب من خلاله، ومعرفة خصائصه ومميزاته وعادات أصحابه، وهذه لمع وجمل في الفنون التي تكثر ممارسة القراءة فيها، لا يغني النظر إليها من كتبها المؤلفة فيها، وما هي إلا تأملات آنية قد لا تفي بالغرض، لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وهي أقسام عدة أهمها:

○ الكتب الفقهية و العقدية و الحديثية والقانونية والنحوية واللغوية... فالكتب المصنفة فيها يمكن أن تقسم إلى قسمين:

● **القسم الأول: المختصرات:**

وهي التي تتضمن حصر مسائل الفن وأدلته باختصار في الألفاظ، وحشو القليل فيها بالمعاني الكثيرة[1]، فهي إذاً تتميز بقلة الألفاظ، وغزارة المعاني، واختزال العبارات وعد الكلمات...

(١) انظر: المقدمة لابن خلدون (ص٥٣١).

وهي في الكتب الفقهية أظهر، ومن الملاحظات في قراءة هذا النوع من الكتب ما يأتي:

- إن كل كلمة من كلمات الكتاب، بل كل حرف منه له مدلول يدل عليه، ومعنى يقصد إليه، ويندر أن تجد في كلماته حشواً لا فائدة منه، وأقرب الأمثلة على هذا كلمة (لو) في كتب الفقهاء المختصرة لها معنى يقصد، بينما هي عند غيرهم قد تأتي تأكيداً للمعنى وزيادة في الإيضاح.

- الغالب في هذه الكتب جفاف الأسلوب وتعقيد الكلمات، وثقلها على الألسن، مع عسر الفهم واستغلاقه على القارئ.

إن القارئ غير الممارس لها لابد أن يتحمل كثيراً من الاهتمام والتركيز وإلا لم يتم له تحقيق ما يريد.

- إن الغالب خلو هذه الكتب من الدلائل والتعليل والعلل، ويغلب فيها الرأي الواحد، وهذا راجع إلى طبيعة هذه الكتب، نظراً لأنها مؤلفة لطائفة معينة، وأيضاً فإن كثيراً منها عرضة للشرح والبيان في كتب مستقلة، أو عن طريق الأساتيذ والمشايخ.

ومن الكتب التي خلت تماماً من الأدلة كتاب (مختصر خليل) لخليل بن إسحاق (ت٧٧٦هـ) فإنه أخلاه من الآيات والأحاديث، طلباً للاختصار.

- من المهم معرفة آباء الكتاب الذين ينتمي إليهم بسبب، وأقصد بذلك أن كثيراً من المختصرات إنما استخرجت من كتب

معينة، واعتمد على مادتها، حتى إنك تجد ألفاظاً في المختصر قد نقلت بنصها من الكتاب الأصلي، لم تمسها يد التبديل والتحوير، خاصة تلك الألفاظ الشهيرة بين علماء الفن أو المذهب.

إن معرفة تسلسل الكتب ومدى إفادة بعضها من بعض يفيد القارئ حينما تستغلق عليه بعض الكلمات، ويعسر فهمه على جمل منه، فإنه قد يجد الأصل أوضح في تأدية المعنى من الفرع وهذا يقع كثيراً .

• **القسم الثاني:** المطولات وهي مختلفة فيما بينها ويجمعها الآتي:

- إنها بخلاف المختصرات مبسوطة المسائل والمعاني بقدر يريده المؤلف، وبحسب ما رسمه لكتابه.

وفيها تجد بيان المسألة مع أدلتها، وذكر الخلاف والموازنة بين الأقوال... بكثير من القول ومزيد من الإيضاح والبيان؛ ولو أنك قمت بالمقارنة في مسألة عرضت في كتاب مختصر وآخر مطول فسوف تجد البون الشاسع بينهما، قد يكون حجمها في الأول كلمات معدودة، بينما في الثاني صفحات عدة.

- قد يعمد القارئ إلى الكتب المطولة طلباً للفهم، حيث لم يفهم المسألة في المختصرات؛ نظراً لاختزال كلماتها وسوء عرضها، فيطالع المطولات التي تعرض المسائل بإسهاب؛ من خلاله يتبين له أصل المسألة ومحل النزاع بين المتنازعين... فإن كان

غرضه هذا فلا يتكلف أن يعرف الأدلة والمناقشات الموجهة لها وأشباه ذلك، وإنما يكتفي بمعرفة المسألة وصورتها لا غير، حتى لا يصيبه الغبش في قراءته تلك إن كان من شداة العلم.

- على القارئ للمطولات الاعتناء بأصل المسألة وصورتها، وموضع الاتفاق والنزاع، وفحص الأدلة والعلل ومدى صحتها، وبدرجة تالية المسائل والقضايا المتفرعة عن أصولها.

- الحذر من التشتت في القراءة، والاضطراب في الفهم الناتج عن طول المسألة وتفرع ذيولها، ومعرفة أن المؤلف ربما يرجح مذهبه، وإن كانت الحجج قد لا تساعده.

- لا بد أن تعرف أن اختيار المؤلف وترجيحه في المطولات لا يُؤخذ من خلال الاستطرادات التي يُقصد بها توضيح أصل المسألة وزيادة الحجج لا غير؛ لأنها قد تكون من اللزومات التي قصد المؤلف بها إلزام المخالف، وهو لا يقول بموجبها.

إن كثيراً من القراء تنتابهم العجلة فلا يمحص بين رأي المؤلف وبين ما ينقله من غيره، أو ما يقصد به إلزام مخالفيه؛ فتجده ينسب القول إلى غير قائله، أو الرأي إلى غير مصدره.

○ **الكتب الثقافية و الفكرية:**

- في الكتب الفكرية والفلسفية ينبغي أن يكون طريق نظر القارئ فيها «من المعنى إلى اللفظ، أكثر من نظره من اللفظ إلى المعنى»[١]؛ لأن الاعتناء بالمعنى فيها أكبر، ولذا تجد المؤلف فيها لا يحفل باختصار الكلم أو اقتصاره، وإنما يسوقه على وجه البسط والبيان حتى إنه قد يصيب القارئ الملل، بسبب البدء والإعادة في إيضاح الفكرة والتدليل عليها.
- إن الغرض الأسمى في هذا الضرب من الكتب الوقوف على المعاني و الأفكار جملة دون التقيد بالكلمات وحرفيتها.
- إن يهتم القارئ بربط الأفكار بعضها ببعض، واستخراج قواسم مشتركة فيما بينها؛ حتى تتضح فكرة المؤلف و الغرض من تأليفه؛ لأن الكتاب إنما قام سوقه على أفكار محددة يريد توصيلها للقارئ، وحينئذ لا بد من وضع اليد على فكرة الكتاب العامة ثم الأفكار المتسلسلة منها.

○ **الكتب الفلسفية وما لف لفها، ينتبه لما يلي:**

- الاهتمام بالمعاني أكثر من الألفاظ وحرفيتها كما سبق في قراءة الكتب الثقافية والفكرية؛ ذلك أن الملاحظ في الكتب الفلسفية الجفاف في الأسلوب، وتضمين المعاني المجردة التي ليس تحتها عمل، ربما ولا عمل عقلي!.

(١) تضمين من الذريعة للراغب (ص٢٦٤).

- الكتب الفلسفية قد تكون غامضة الدلائل، وليس فيها التصريح بالأفكار، وتجتنب الكلمات الملموسة ذات المعاني القريبة.

من المهم هنا أن يصبح القارئ على دراية بالكلمات الانتقالية من مثل: حينئذ، الآن، وبعد ذلك، وعلى سبيل المثال....؛ فإنها قد تشير إلى أن المؤلف سيبدل أفكاره، أو يفعل شيئاً مغايراً لما سبق، وربما تكون هي النتيجة التي توصل إليها المؤلف لكن دون تصريح بها...

وبعبارة جامعة أن نفهم أن استعمال الكلمات الانتقالية في هذا النوع من الكتب دلالة على أن المؤلف سينتقل من معنى إلى آخر، وهذا له أثر في تأليف الكلام وترتيب المعاني والأفكار.

○ **من يقرأ كتب الأدب** لا بد أن يلاحظ:

- أن غرضه من قراءتها الوقوف على الأساليب البديعة، والتعبيرات الجيدة، والكلمات المنتقاة، وليس غرضه الوقوف على شريف المعاني، أو استجلاء الأفكار منها؛ وحين ذاك ينبغي له مراعاة ذلك في قراءته، وتقييده للفوائد، واختيار الوقت المناسب لها.

- أن في الكتب البلاغية أو الأساليب البيانية لا بد أن ينتبه القارئ إلى ما تحويه من معان غير ظاهرة؛ حيث إنه قد يكون للكلمة معنيان: أحدهما ظاهر لكل أحد، والآخر مستتر خلف

أكـوام مـن الكلـم وهـو المقـصـود، وهـذا ظاهـر فـي المجـازات والكنايات والصور البيانية...

• إن الأدب لا ينفصل عن تأثيـر باقي العلوم فيه، خاصـة العلوم الدينيـة، والكلاميـة، والفلسفيـة، وهـذا شيء مـوجـود في كتب المتقـدمين من الأدباء الذي يختلط في كتبهم شـتى الفنون، وفي هذا العصر دخلت المذاهب الفكرية، والأدلوجيات بشتى أنواعها إلى ساحة الأدب، والتي يبث الكاتب فيه أفكاره وآراءه في الكون والحيـاة؛ ولـذا فإن القـارئ للأدب بعـامـة ينبـغي أن يقف طويلاً على الأفكار والمعاني، ولا يتغافل عنها، استلاذاذاً بجرس الألفاظ ومعاني الكلمات.

من الملاحظ أن هناك أنواعـاً مـن الأدب يتـعـرف القـارئ من خـلالها علـى الأفكار والـزمان والمكان وسيـر الحيـاة.... ويظهـر هذا جلياً في الروايات الأدبية، التي شـاعت صناعتها في هذه الأوقات، وتسنمت المرتبة العليا في فنون الأدب.

إن كثـيـر من القـراء يستـروح إليـهـا، ويمضـي كـثيـراً من وقتـه فيهـا، من غيـر فائدة يستجلبها، أو لطيفة يستملحهـا، وأولى بأولاء الاهتمام بالأفكار والمعاني ومواقع الأحداث.

إن قـــارئ الرواية لا بد أن تقع عـيـنـه أولاً على المنهج الذي سـوف يسيـر عليـه المؤلف، والمعنى الذي يرمـي إليـه من روايتـه تلك، لأن الروايات لها مناحي عدة، وأغراض شتى منها:

- الروايات التاريخية: التي تسلك مسلك السرد التاريخي، وتتكئ على أحداث ماضية، وأخبار سالفة، فتجمع بينها وتواءم بين أخبارها، بحيث تكون على نسق واحد، ولحمة واحدة، غير أنها تزيد في أصل القصة وتنقص فيها، وتبدل وتغير، بنظر المعايش لتلك السنون والأحداث، وفي طياتها يبث الكاتب أفكاره وآراءه الفكرية.

- الروايات الذاتية: التي تروي قصة حياة الكاتب، لكن بشخوص آخرين، وبسبك قصصي مثير قد يبتعد كثيراً أو قليلاً عن الواقع، وقد دعاه إلى هذا ما في الرواية من تشويق، أو فرار أن تتصور حياته الخاصة بهذا التصور!

- الروايات المكانية: التي من خلالها يستجلي الكاتب مكاناً معيناً، حفل بكثير من الأحداث والمواقف، أو يختار مكاناً معيناً من خلاله يرصد حركة الناس؛ كالمقاهي أو الشقق التي مر فيها أناس متعددو الطباع والتصرفات..

- الروايات العلمية والتربوية: التي من خلالها يصوغ المسائل العلمية والتربوية على شكل رواية أدبية، يوصل من خلالها أفكاره.

- ومنها: التي ترصد حركة المجتمع وتغيراته من خلال علاقة شرائح المجتمع بعضهم مع بعضهم، وما ينشأ فيها من أحداث؛ كالأبناء مع الآباء، أو الصحافيين مع بقية المجتمع.

○ **من يطالع كتب التاريخ والسير، و الروايات الأدبية يلاحظ الآتي:**

• إن هذه الكتب تحوي الأخبار الصحيحة وغيرها، وهذا يستدعي من القارئ فحص الكلام بمنظار المؤرخين والمحدثين، ولا يسلِّم لكل ما يكتب وينقل.

• يناسب هذا النوع من الكتب القراءة السريعة التي من خلالها يمر القارئ على هاتك المعلومات المدونة فيها بسرعة فائقة.

إن مراد جمهرة القراء في هذه الكتب الوقائع و الأحداث دون الخوض في التفاصيل والجزئيات والدقائق؛ ومن هنا يوجه القارئ جهده نحو الكليات، ولا يعتني بالتفاصيل الدقيقة ولا يلتفت إليها، حيث إن الفائدة منها قليلة؛ فإن كان لديه غرض معين من قراءته تلك؛ سواء كان ذلك نقداً أو تحليلاً فلا بد أن يتبصر فيما يقرأ.

📖 **الثاني: معرفة منهج الكتاب من خلال خطوات متدرجة:**

○ **الخطوة الأولى:** معرفة فرع الفن الذي ينتمي إليه الكتاب، أو المذهب الذي يندرج فيه، وهذا له تطبيقات من أشهرها:

• **في التفسير:** ينقسم إلى تفسير بالمأثور، وتفسير بالمعقول، فتفسير الطبري (٢٢٤-٣١٠) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) من الأول؛ وتفسير القرطبي (ت ٦٧١ هـ) (الجامع لأحكام القرآن) من الثاني.

- **في العقيدة:** قد يكون في عقيدة أهل السنة، وقد يكون في نحل ومذاهب؛ كالصوفية والكلامية والاعتزالية...
- **في الفقه:** تختلف الكتب المؤلفة فيه بحسب المذهب الفقهي الذي تنتمي إليه؛ كالحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية...
- **في أصول الفقه:** الكتب فيه على طرق: طريقة المتكلمين الشافعية، وطريقة الحنفية، وطريقة الجمع بينهما.
- **في النحو:** يوجد فيه مدرستان غالبتان:المدرسة البصرية، والمدرسة الكوفية، ثم نشأ عنهما مدرسة توازي بينهما وتختار.

○ **الخطوة الثانية:** معرفة فرع الفرع، ومكانة الكتاب بين كتب المذهب والمدرسة التي يرجع إليها.. ومن أمثلة ذلك:

- **في التفسير:** سبق تقسيمه إلى تفسير بالمأثور، وتفسير بالمعقول، والأول له أنواع متعددة، ومنه تفسير القرآن بالحديث الشريف، كتفسير (الدر المنثور في التفسير المأثور) للجلال السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١)، والتفسير بالمعقول أيضاً له أنواع متعددة ومنه التفسير اللغوي، كتفسير (البحر المحيط) لأبي حيان النحوي (٦٥٤-٧٤٥).
- **في الفقه:** الكتاب الذي يطالعه هل هو ينتمي إلى الكتب الفقهية المذهبية.. من المتقدمين، أو المتوسطين، أو المتأخرين؟ وما مكانة الكتاب بين كتب المذهب.

○ **الخطوة الثالثة:** معرفة منهج المؤلف في كتابه، والطريقة التي سار عليها، ويمكن للقارئ أن يتلمسه من خلال:

- قراءة مقدمة الكتاب، حيث إن كثيراً من المؤلفين ينص على الطريقة التي سوف يسير عليها في كتابه، ومحك هذا الاستقراء.
- نص الشُرَّاح أو المحققين أو المترجمين على سنن المؤلف في كتابه وعادته فيه.
- الاستقراء التام أو الأغلبي للكتاب، ففي ثناياه يتعرف على نهجه وطريقته، وقد ينص على شيء منه في كتابه، ومنه ما ذكره ياقوت الحموي (٥٧٤- ٦٢٦) في سياق ترجمة أبي أحمد العسكري (٢٩٣-٣٨٢) حيث سأل عنه أحد العلماء، قال ياقوت: «فسألته أن يفيدني في ذلك ففعل متفضلاً على صورة ما أورده السلفي، غير المولد والوفاة فإنه كان في آخر أخبار أبي أحمد فقدمته على عادتي»[1] فهذا النص يفيد طريقة المؤلف في كتابه وعرضه للتراجم.

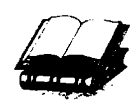
وقد يلاحظ القارئ للكتاب أن المؤلف مضطرب في منهجه أو طريقته، ومن ذلك أن يكون قد بسط القول وأفاض في الكلام في أول الكتاب، ثم يبدأ يقصر حتى ينتهي به الحال

(١) معجم الأدباء (٢/٩١١).

إلى الاختصار والاقتصار، بخلاف معهوده الأول، وهذا قد يرجع إلى طول الكتاب، أو أن منهجه الذي ارتضاه أولاً شاق ومكلف فيعمد حينئذ إلى الاقتصار الذي قد لا يحيط بالموضوع ولا يوفيه حقه.

وهذا يدعو القارئ إلى أن يفحص الكتاب كله؛ أوله وآخره وثناياه حتى يرى هل المؤلف استقام على حال واحدة أم لا!.

ومن أمثلة ذلك قول الحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢) عن شرح سراج الدين ابن الملقن (٧٢٣ - ٨٠٤) على صحيح البخاري: وهو في أوائله أقعد منه في آواخره، بل هو من نصفه الباقي قليل الجدوى[١].



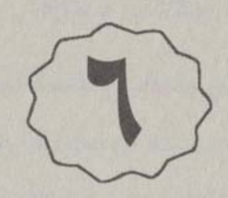
(١) كشف الظنون (٢ / ٥٤٧)، الضوء اللامع (٦ / ١٠٢).

حدثني عبد الرحمن ابن تيمية عن أبيه قال: كان الجد - يعني أبي البركات ابن تيمية (٥٩٠ -٦٥٣) إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب، وارفع صوتك حتى أسمع.

ابن القيم (٦٩١-٧٥١)

روضة المحبين (ص٧٠)





فحص الكتاب



إن تصفح الكتاب له قيمة كبيرة في التعرف على الكتاب الذي بين يديك قبل أن تقدم على قراءته، وهي طريقة فَعَّالة وسريعة للتعرف على ما يحويه من عناوين وأفكار، وتسمى (القراءة الاستكشافية)[١]؛ وهي بأوجز عبارة: فن الحصول على أكبر فائدة من الكتاب خلال زمن محدد؛ بأن يتصفح الكتاب ويكتشف مستواه.

🕮 من الملاحظات التي ينبغي التنبه لها:

- أن التصفح ليس من شأنه أن يخبرك عما يحتويه الكتاب، ولا يعلمك بما يقوله المؤلف في كتابه؛ وإنما هي أداة لمعرفة الكتاب وخطوطه الرئيسة؛ فهو مثل قراءة البطاقة المرفقة بأي سلعة لا تعرفها .

- يجب أن لا تأخذ عملية التصفح وقتاً كبيراً، حتى لا تصبح قراءة أخرى، وإنما هي دقائق معدودة لا تعدو الخمس؛ وهي مرحلة تسبق القراءة، وليست هي نوعاً بذاتها.

- الآلة المستخدمة في القراءة الاستكشافية هي القراءة السريعة في أقصى سرعتها.

- الحذر أن تكون القراءة الاستكشافية هي المعتمد في تكويننا الثقافي، مما ينتج عنه ثقافة القشور وتعداد المعلومات فقط، و الثقافة المهلهلة التي تعتمد على التمدد والاتساع دون العمق والرسوخ.

(١) ومن هذا الباب أن الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨) سمى تفسيره الشهير بـ (الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) وهي صيغة مبالغة.

🕮 وللقراءة الاستكشافية أغراض:

○ من أجل تحديد نوع القراءة التي سوف يمارسها القارئ في قراءته تلك؛ حيث إن بعض الكتب لا تستحق حتى التصفح، وبعضاً منها يقرأ بسرعة، وقليلاً منها التي يجب أن تقرأ بمعدل بطيء حتى تفهم.

في القراءة الاستكشافية يقرر القارئ أي نوع من القراءة يستحق الكتاب، فهناك كتب تقرأ قراءة سريعة لالتقاط النافع منها، وهناك كتب يجب أن تقرأ قراءة دقيقة متناهية، فيها كثير من إنعام النظر وإطالة الفكرة ، وهذا كما يكون في الكتب المختلفة يكون في الكتاب الواحد ، فقد يتناهى القارئ القراءة في فصل فيه ، ما لا يكون في سائره .

○ من أجل تحديد اختيار الوقت المناسب للقراءة، فقراءة الدرس ينبغي أن يختار لها الوقت المناسب، بينما قراءة التسلية والمتعة لها وقت، والكتب الخفيفة لها وقت بخلاف الكتب العميقة فيختار لها ما يناسبها من الأزمان...

إن هذا الضرب من القراءة - أعني بها القراءة الاستكشافية - ممكن أن تمارس في حالات الانتظار التي تضطر الإنسان في واسطة نقل، أو عيادة أو غيرها...

ولذا كان من الأفضل جعل خزانة خاصة للكتب الجديدة التي لم تقرأ بعد حتى يفرغ لها في هذه الأوقات الميتة، فإن

ممارسة القراءة التفحصية متعة لا إرهاق فيها مع الفائدة التي تجنى منها.

○ إن محصول المطابع و ثمراتها من الكتب ليست تحت الحصر، فلا يمكن لأشره الناس قراءة الإحاطة بها فما بالك بقراءتها... وفيها ما فيها من هدر الوقت فيما لا طائل تحته ولا محصول وراءه، أو فيما هو شر من ذلك.

وما أكثر ما يكون الوقت عائقاً عن قراءة ما نحب، فتنتابنا الحسرة والانقباض من ذلك؛ لذا كان هذا النوع من القراءة هو الطريق الذي نميز به:

- المفيد من الغث، فليس كل ما تلقيه المطابع وتقذف به دور النشر يستحق القراءة بالتأكيد، بل إن في شراء بعضها إضاعة للمال؛ إلا أن يوقد بها طعام أو شراب، حتى يصح فيها قول ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦): «له ترجمة بلا معنى، واسم يهول بلا جسم»[١].
- معرفة مناسبة الكتاب للقارئ؛ لأن هناك كتب جيدة، ومع هذا فهي تخاطب فئة معينة قد لا يكون القارئ منها، فيتبين حاله وموقعه منها، وهل الكتاب يناسبه أم لا ؟ وإذا كان الوقت لا يتسع لقراءة كل شيء فلنفرغه للمهم، ذلك أننا متى شغلناه بغير المهم أزرى بالمهم.

(١) انظر: أدب الكاتب (ص١٠) .

○ من يشتري الكتاب لا لقراءته الآن، وإنما ليجعله في خزانة كتبه، ويستفيد منه مستقبلاً حال الحاجة؛ وبهذا يتكون لديه خلفية كافية عن الكتاب حتى إذا عرض له ما يدعوه إلى مراجعته أمكن له الاستفادة منه على سنن الكمال والتمام، ولا يكون عنه غُفلاً وعن باله عازباً؛ كما يقع هذا كثيراً، فربما جلس الكتاب سني كثيرة لم يلتفت إليه صاحبه حتى إذا ما انقضى أربه تفطن له، فإذا هو «الصيد في جوف الفراء».

وقد ذكر العلماء في آداب شراء الكتب أنه ينبغي تفقد الكتاب والنظر فيه، حتى إذا احتاج إليه بعد ذلك كان نعم العون له؛ قال ابن جماعة (٦٣٦-٧٣٣): «وإذا اشترى كتاباً تعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه وتصفح أوراقه، واعتبر صحته وما يغلب على الظن صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه»[(١)].

○ من المفضل عموماً أن نتصفح حتى الكتب التي ننوي قراءتها قراءة درس وتحصيل، وهذا لنحصل على فكرة عامة للكتاب ومخططه الرئيس؛ ومن المفضل أيضاً العمل على تصور الكتاب وأبعاضه المهمة ورسمها في الذهن على شكل شجرة كما سيأتي.

○ من يبحث في ثنايا الكتب عن موضوع يهمه، ولا يريد قراءة الكتاب كله؛ فهنا يتصفح الكتاب ويضع يده على ما يريد منه،

(١) تذكرة السامع و المتكلم (ص١٧٢) .

ويكشف اللثام عن المهم منه لديه؛ وهذا مهم في الأبحاث والدراسات، حتى لا يضيع وقته في قراءة أشياء غير داخلة في دائرة اهتماماته فيضيع فيها وقتاً هو في حاجة إليه.

○ قراءة المجلات والجرائد والرسائل البريدية والأوراق الشخصية... وما يجري مجراها، فهذه يحتاج القارئ إلى قراءتها، مع ما فيها من هدر للوقت؛ وفي هذا الضرب من القراءة حل لهذه المقروءات الكثيرة.

📖 وفي هذه الحالات وغيرها يمكن للقارئ أن يعمل على أمرين:

○ **الأمر الأول:** وضع سلة شاملة لكل ما بين يديه من الكتب والصحف والأوراق والرسائل البريدية... ثم القيام بالمسح الشامل لها، وفرز ما يحتاجه منها، أو التعليم على ما يريد منها، واستبعاد ما لا يقع تحت اهتمامه أو بحثه، وليكن هذا بحزم لا يعرف التردد أو الإرجاء؛ لأن في التأخير آفة هدر الوقت وخلط الأوراق.

○ **الأمر الثاني:** التعرف على الكتاب واكتشاف مستواه العلمي من خلال جوانب متعددة:

• قراءة مقدمة الكتاب والخاتمة: التي من خلالها يتضح لنا غرض المؤلف من الكتاب وأهدافه، ومن ذلك قراءة الورقة التعريفية التي تكون على طُرَّة الكتاب، أو في آخره.

وفي كتب الأسلاف الاعتناء بالمقدمة وفاتحة الكتاب، حيث إن فيها بيان موضوعات الكتاب وتفريعاته، وسبب تأليفه ومقدمة حول الموضوع المطروق... ومنها:

- كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) فقد استفتحه بمقدمة ضافية تبين سبب تأليفه للكتاب وموضوعاته وما إليه، حتى قيل فيه: إنه خطبة بلا كتاب، وكذلك صنيعه في كتابه الآخر (عيون الأخبار) فقد اعتنى بالمقدمة أشد العناية.

- كتاب (الاستخراج لأحكام الخراج) لابن رجب (٧٣٦-٧٩٥) فإنه ذكر في فاتحة كتابه عناوين الأبواب التي انتظمها الكتاب.

- قراءة جدول محتويات الكتاب حيث يمثل عناوين الفصول والأبواب والأفكار الرئيسة للكتاب؛ كما أنه يعطي فكرة عن تطور الأفكار وترتيبها، قال محمود شاكر (١٣٢٧ - ١٤١٨) على طرة كتابه (المتنبي): «مفتاح كل كتاب فهرس جامع؛ فاقرأ الفهرس قبل كل شيء».

وإذا كان لديك عن موضوع الكتاب خلفية سالفة أمكن لك معرفة هل الكتاب يحتوي على معلومات جديدة.. أم مجرد تكرار لما سبق أن قرأته ؟

فإن لم يكن هناك فهرس جامع ينظم شتات الكتاب فمن المهم اكتشاف المنظور المنطقي للكتاب، و المخطط الكلي له، من

خلال نظرة خفيفة في الكتاب، فيها إبانة لمكنوناته وموضوعاته ونسقه؛ وبهذا تتصور الكتاب تصوراً كاملاً.

ومما يتنبه له أن جدول موضوعات الكتاب قد يكون في أول الكتاب، وهذا كثير عند العلماء السابقين حيث يضمنونه المقدمة، والأشهر في النشر العصري جعلها في آخر الكتاب.

- قراءة فواتح الأبواب والفصول من الكتاب، ففيه تجد التعريف لما انتظم فيه من مسائل وتفاريع، وهذه طريقة عند المتقدمين ذائعة شهيرة، قال الطوفي (٦٧٥ - ٧١٦): «وهو طريقة الحكماء الأوائل وغيرهم، لا تكاد تجد لهم كتاباً في طب أو فلسفة إلا وقد ضبطت مقالاته وأبوابه في أوله، بحيث يقف الناظر الذكي من مقدمة الكتاب على ما في أثنائه من تفاصيله»[١].

- معرفة تاريخ نشر الكتاب خاصة في الفنون التي تتطور بسرعة، أو هي وليدة العصر، والتغير فيها والتبديل يعمل عمله... ومن الأمثلة التي يصدق عليها هذا (الحاسب الآلي) فإن القارئ لكتاب صادر عام ١٤٠٠هـ يعتبر موغلاً في القدم والتخلف، لا يستفيد منه إلا تقليب صفحات الماضي، ومعرفة عظمة القفزات التي تقدم إليها هذا العلم.

(١) شرح مختصر الروضة (٩٨/١).

○ الاطلاع على جريدة المصادر و المراجع التي اعتمد عليها المؤلف في بناء كتابه؛ حيث إنها:

- تشكل المورد الأساس لمعلوماته وصياغاته واستمداده، فإن كانت هذه الموارد موصوفة بالجدة والابتكار والأصالة فهذا يعطي وثوقاً بالكتاب، والعكس بالعكس؛ فكم من كتاب يكون استمداده من كتب مهلهلة البناء، ضعيفة المعاني فيتأثر من خلالها.

- ومن خلال هذا يكتشف القارئ الخلفية الثقافية للكتاب؛ فإن تنوع المراجع دال على سعة اطلاع المؤلف، حيث طوح في ميادين ومضايق عديدة دالة على اهتمامه واعتنائه.

- قد يجد في جريدة المراجع كتباً لا تنتمي لموضوع الكتاب بسبب قريب أو بعيد، أو أنها في موضوع مشابه له، فقد يكون هذا راجعاً إلى قصور فهم المؤلف في موضوعه الذي ألف فيه.. وهذه نقطة حمراء قد تحسب على المؤلف.

- قد يكون الموضوع الذي ألف فيه الكتاب حديثاً، وأن بعض تطبيقاته لا زالت موضع بحث ومراجعة، فإذا كانت في قائمة المراجع كتب حديثة الإصدار أو بحوث جديدة الإعداد ، فهذا قد يدل على أن في الكتاب تجديداً وحداثة !

- في جريدة المراجع ما قد يشير إلى طبيعة معالجته للمادة التي في كتابه، خاصة في عرض الأقوال أو المذاهب؛ فمثلاً

في المؤلفات الفقهية إذا كانت المراجع خلواً عن كتب للمذهب الظاهري فهذا يدل على أحد أمرين: إما أن المؤلف لم يتعرض لهذا المذهب، وإما أنه قد نقله من كتب وسيطة غير أصيلة، وكلا الأمرين قد يكون مأخذاً يأخذه من كان مهتماً بهذا الموضوع على المؤلف.

ومما يحسن ذكره هنا أن كثيراً من العلماء السابقين يذكر قائمة المراجع إما في المقدمة - وهذا الأكثر- كما في كتاب (نفائس الأصول في شرح المحصول)[١] للقرافي (٦٢٦-٦٨٤)، وإما في آخر الكتاب كصنيع الطوفي (٦٧٥ - ٧١٦) في آخر كتابه (شرح مختصر الروضة)[٢].

- قراءة الخلاصات التي يوردها بعض المؤلفين آخر كل فصل، وخاصة الكتب الغربية؛ فإن من عادتهم إيراد خلاصات لما سبق شرحه وبيانه.

- قراءة بعض الصفحات أو الفقرات من الكتاب لمعرفة مستوى المعالجة في الكتاب، وكلما اختار الأفكار والمسائل التي يهتم بها كان هذا أكثر اكتشافاً عن طبيعة الكتاب ومدى نضجه.

ولكل كتاب كلمات تعتبر مفاتيح له، فإذا أمكن أن يقع القارئ عليها فإنه من خلالها يتعرف على الكتاب وقيمته العلمية.

---

(١) (١ / ٩١ - ٩٦).
(٢) (٣ / ٧٥١).

○ القراء الواعون قد يتفطنون للكتاب من خلال مؤلفه، وذلك أن بعض المؤلفين قد يكون معروفاً بالتجويد، وحسن التصنيف، وقد يكون هذا حكماً في كتبه كلها أو بعضها، مع أنه قد يكبو الفارس، ويُجوِّد من لم يعُرف بالتجويد والإتقان.

و إذا عرف بضد ذلك فالتيقظ الشديد لما كتبه هل انتظم ما سبقها من مؤلفات، أو هي أخطأت الطريق !، وهذا كله في بادئ الأمر، وإلا لا بد من اكتشاف مستوى الكتاب بمعزل عن مؤلفه.

📖 **وبعد هذه الخطوات يوجه القارئ إلى نفسه أربعة أسئلة:**

○ ما نوع الكتاب، والحقل العلمي الذي ينتمي إليه؟

○ هل أنا من الفئة التي قصدها المؤلف؟

○ ما مضمون الكتاب بشكل عام؟ الجواب بجملة أو جملتين.

○ ما الترتيب الهيكلي للكتاب، وبناؤه العام؟

عند استكماله لهذه الخطوات والإجابة عن تلك التسؤلات يكون القارئ قد حصل على المعلومات الكافية عن الكتاب؛ ليعرف عما إذا كان يريد أن يقرأه بأناة أكثر وإنعام نظر أطول، أو ليس بحاجة لقراءته إطلاقاً، وغير هذه الأغراض التي سبق ذكرها.



كان لأبي علي القالي (٢٨٠-٣٥٠) نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ابن دريد (٢٢٣-٣٢١)، وكان قد أعطي بها ثلاثمائة مثقالاً فأبى، حتى إذا أشتدت به الحاجة باعها بأربعين مثقالاً، وكتب عليها هذه الأبيات:

أنست بها عشرين عاماً وبعتها ... وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لعجز وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شؤوني

فقلت - ولم أملك سوابق عبرتي ... مقالة مكوي الفؤاد حزين:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من ربّ بهن ضنين

فأرسلها الذي اشتراها، وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى.

المزهر (١/٩٥)، تاج العروس (١/١٢).





قراءة الدرس

يختار القارئ بعد القراءة الاستكشافية نوع القراءة التي سوف يمارسها، وهي على أضرب متعددة، منها الانتقائية، والمتزامنة، وغيرها، ومنها:

🕮 قراءة الدرس والضبط والتحصيل:

○ إن هذا الضرب من القراءة هو عماد القراءات وأساسها، وهو الذي يبني القارئ ويؤهله تأهيلاً يستطيع معه أن يميز بين الأمور والحكم فيها بميزان العلم وحده؛ وهو الوجه الآخر للتعليم الذاتي؛ وصنو الدراسة على الأساتيذ والأشياخ؛ نظراً لأنه يقوم على المواظبة على مطالعة الكتب والتعمق في دراستها، والبحث عن مخبآت الكتب والدفاتر.

○ وفي تاريخنا الغابر والمعاصر أمثلة كثيرة لا تحصى ولا تعد تبين لنا اجتهاد العلماء والطلبة في التحصيل الذاتي، والقراءة الفردية، وهذا أنتج نوابغاً استوعبوا علوماً جمة، وفنوناً عدة، فصنفوا وأبدعوا معتمدين في ذلك على تحصيلهم الذاتي بشتى المعارف والفنون.

○ إن الدراسة النظامية أو عن طريق المشايخ إنما تفتح أبواباً للعلم مشرعة، بينما القراءة الجادة هي التي تستكمل وتبني الشخص بعد ذلك، وإنك لو فتشت في أحوال العلماء لوجدت أن الذي صنعهم وأخذ بأيديهم هي تلك القراءات الجادة التي ينصرفون إليها بكرة وأصيلاً، فعن طريق إدامة النظر وغربلة ما يقرؤون والنظر الفاحص فيه حصلوا ما حصلوا.

○ إن القراءة إذا كانت خلواً من التأمل والنقد والتحليل، خالية من تذوق المعاني والتأمل فيها فالفائدة المتوخاة منها فارغة، والثمرة التي يجنيها القارئ منها يسيرة جداً.

إننا إذا رجعنا إلى أنفسنا وجدنا أننا في كثير من الأحايين قرأنا كثيراً؛ لكن ثمراتنا منها نزر قليل، وكأنها طيف مر في أصايل يوم أو أماسيه... فأين الخلل؟

إن الخلل يكمن في الطريقة التي نمارس بها القراءة والهدف الذي من أجله نقرأ... إنها تسلية وملء فراغات... إنها تسليم وانقياد لأفكار ما نقرأ من غير برهان.

لم تكن القراءة عند فئام من الناس تعني تشغيل الحواس والقدرات الكامنة في النفس؛ ذلك أنها تحتاج مشاقاً وإرهاقاً للنفس، وهم إنما يرومونها مع الراحة والمتعة، مع أنه «لا بد في التمر من سلاَّء النخل، وفي العسل من إبر النحل».

○ إن من يقرأ بكمية أكبر وليس بنوعية أفضل، يستحق الإشفاق، أكثر من أن يستحق المكافأة؛ ولذلك نجد أن عظماء الكتاب كانوا قرَّاء عظماء، ولكن لا يعني هذا أنهم قد قرؤوا كل الكتب التي كانت موجودة في زمانهم، وهم في حالات عديدة قد قرؤوا كتباً أقل، لكن بشكل جيد.

قال توماس هوبس: إني لو قرأت كتباً عديدة؛ كما يفعل أكثر الناس، فإني سأكون قليل الذكاء مثلهم(١).

---

(١) كيف تقرأ كتاباً لمورتيمر آدلر (ص١٩١).

وصدق القُطَامي (ت ١٣٠ هـ) حين يقول:

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل[١]

○ هذا الضرب من القراءة يسمى عند أهل العصر بـ (القراءة التحليلية)، وعند الأسلاف يسمى بأسماء مختلفة منها:

● **(القراءة البحثية)** قال ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥): «ورأيت نسخة وقد قرأها عمر بن منجا (٥٥٧-٦٤١) على والده قراءة بحث، وعليها حواش علقها بخطه»، ثم ذكر أمثلة على هذه التعليقات[٢].

● **(قراءة ضبط وتحصيل)**، قال ياقوت الحموي (٥٧٤-٦٢٦): «وجدت في آخر نسخة (المقتصد) لعبدالقادر الجرجاني بالري مكتوباً ما حكايته: قرأ علي الأخ الفقيه أبو نصر أحمد ابن إبراهيم بن محمد السجزي - أيده الله - هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتحصيل...»[٣].

○ ومن لطيف ما يذكر في هذا المجال أن هناك من اعتنى بكتب معينة حفظاً وإقراءً حتى عرف بها، وأصبحت لقباً عليه ومنهم:

---

(١) خزانة الأدب (١/٣٥٠) .
(٢) ذيل الطبقات (٢/٢٢٦)، وانظر: الضوء اللامع (١ / ٥٦، ٩١).
(٣) معجم الأدباء (١/١٨٧) .

- علي بن محمد أبو الحسن (ت ٥١٦ هـ) سمي بـ (الفصيحي) لكثرة دراسته لكتاب الفصيح[١].
- أحمد بن محمد الأربلي (ت ٧٢٨ هـ) عرف بـ (التعجيزي)؛ لحفظه كتاب التعجيز[٢].
- أحمد الواسطي (ت ٧٢٩ هـ) عرف بـ (الوجيزي)؛ لأنه كان قد حفظ الوجيز واعتنى به[٣].
- بدر الدين الزركشي (٧٤٥-٧٩٤) لقب بـ (المنهاجي)؛ لأنه حفظ منهاج الطالبين[٤].
- محمد بن سليمان الرومي (٧٨٨-٨٩٩) عرف بـ (الكافيجي)؛ لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، فنسب إليها بزيادة جيم كما هي قاعدة الترك في النسب[٥].

🕮 ومن المزايا والفوائد التي تنطوي على هذا النوع من القراءة وهذا النوع من الدراسة:

- أنه يشجِّع على روح المبادرة و النشاط؛ فلا يليق أن يظل المرء سلبياً تابعاً لغيره؛ ولذا تجد فئة من الطلبة يلازم أستاذه كظله درساً وتعلماً؛ لكن ينقطع بانقطاعه ويفتر بتوقفه.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٩٦٤/٥) .
(٢) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢٥٥/١) .
(٣) انظر: المصدر السابق (٢٤٣/١) .
(٤) انظر: البحر المحيط للزركشي، المقدمة (٧/١) .
(٥) انظر: البدر الطالع للشوكاني (٢٥٥/١) .

ثم إنك تجد أن الفرحة والسرور ترتسم على محياه ما دام يتكشف آفاقاً جديدة في ميادين العلوم، بخلاف من يقدم له تلك العلوم على طباق من الراحة والدعة.

- أنه يفيد في توسيع المدارك، وإلقاء أضواء ساطعة تكشف عن الجوانب الخفية للموضوعات؛ ولذا فالقراء من هذا النوع هم الأكثر تفنناً في العلوم فلم يقتصروا على واحد منها بل طوفوا في أشتات مختلفة.

- أنه يفيد في تعليم المرء البحث والتنقيب في بطون الكتب، واستخراج الفوائد و النوادر منها، فالقراءة الجادة ليست نوعاً من الاطلاع بل نوعاً من الاكتشاف.

📖 وهناك ملاحظات ينبغي لمن يتبع هذا النوع من القراءة أن ينتبه لها:

- أن الكتب التي تستحق هذه القراءة ليست كثيرة، فلذلك ينبغي ألا يطبقها على كل كتاب، بل على الكتب التي تستحق ذلك فقط.

- أن الكتاب الذي سوف نقرأه قراءة درس يجب أن لا يقرأ كله بمعدل واحد و بالسرعة نفسها؛ ذلك أن كل كتاب يحتوي على مواد سهلة، فيمكن أن يقرأ بسرعة، كما أن كل كتاب جيد يحتوي على موضوعات صعبة، فهذه تقرأ ببطء وتفهم شديد.

- اختيار الأوقات التي يكون الإنسان فيها نشيطاً، وفكره متوقداً واعياً للقراءة.

- اختيار المكان المناسب؛ بحيث لا يكون في ضوضاء ولا أماكن صاخبة، فلا تمارس قراءة الدرس في واسطة نقل أو حين الانتظار في عيادة أو غيرها، وإنما تمارس في جو هادئ، ومكان مناسب.

🕮 مبادئ قراءة الدرس والتحصيل:

إن ذكر هذه المبادئ و القواعد لا يعني أن القراءة التحليلية لا تتم إلا بها، وإنما هذه اجتهادات ورؤى يمكن أن يختلف فيها القراء فيما بينهم، والمهم ليس التطبيق الحرفي لها، وإنما أن يكون القارئ مستشعراً أهمية هذا النوع من القراءة مطبقاً ما يراه هو من مبادئها وقواعدها، مع الانتباه لخطوات القراءة الأخرى التي مرت عليك أو سوف تمر عليك - إن شاء الله - فإن أكثرها يندرج في القراءة التحليلية، وهذان مبدءان منها:

○ **الأول: الاهتمام بعنوان ومباحث الكتاب، وتنظيم محتوياته الداخلية من خلال أمور أربعة:**

- تصنيف الكتاب حسب نوعه وموضوعه؛ فيجب أن يعرف ما هو نوع الكتاب المقروء بأسرع وقت، ويفضل أن يكون قبل البداية في القراءة؛ وقد سبق بيانه في القراءة الاستكشافية.

• توضيح ما يبحثه الكتاب بأقصى إيجاز ممكن؛ بأن يذكر موضوعه ونقاطه الرئيسة.

• تعديد الأجزاء الرئيسة حسب تسلسلها وعلاقتها بإيجاز؛ من خلال تلخيص الكتاب بمجمله، وقد يكون الكتاب منظماً بشكل جيد، لا يحتاج إلى عناء.

• بيان المسألة أو المسائل التي يحاول المؤلف حلها ومعالجتها؛ بمعنى آخر ما هي الأسئلة التي طرحها المؤلف وأراد حلها، ولا بد أن تضفي على السؤال الرئيس - الذي يحاول الكتاب الإجابة عنه - مزيد اهتمام وعناية، ثم بعد هذا تعرج على المسائل الثانوية وتتعرف على رأي الكاتب تجاهها[١].

وبعد استكمال هذه النقاط يكون القارئ قد توصل إلى مكنون الكتاب وطبيعة معالجته للمسائل التي بحثها.

○ **الثاني: تفسير محتويات الكتاب وتوضيح كلماته وجُمَلِه من خلال الأمور التالية:**

• التوصل إلى تفاهم مع الكتاب؛ من خلال تفسير كلماته الرئيسة، ويستتبع ذلك معرفة مصطلحات الكاتب والفن الذي يؤلف فيه.

• التقاط عروض ومعاني الكتاب الرئيسة من خلال بحث أهم جمله؛ ذلك أن القارئ الجيد لا ينتبه فقط إلى الكلمات، ولكن

(١) انظر: كيف تقرأ كتاباً لمورتيمر آدلر (ص٧٨-١١٣) .

ينتبه أيضاً إلى الجمل و الفقرات، ويقف عند الجمل التي تحير أكثر من وقوفه عند الجمل التي تعجب وتشد.

- معرفة مناقشات الكاتب من خلال إيجادها أو بنائها في تسلسل الجمل؛ وذلك بأن نوجد المناقشات الهامة في الكتاب؛ فإن لم تكن موجودة فبأن ننشئ هذه المناقشات.
- تحديد المسائل التي حلها الكاتب، والمسائل التي لم يحلها، مع ملاحظة المسائل التي أقر الكاتب أنه فشل في حلها[١].



(١) انظر: المصدر السابق (ص١٥١-١٥٩).

«إني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في بيت الكتب الموقوفة في المدرسة النظاميَّة، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلَّد، وفي ثَبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميديِّ، وكتب شيخنا عبد الوهاب ابن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشَّاب وكانت أحمالاً، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلت إني طالعت عشرين ألف مجلَّد، كان أكثر وأنا بعد في الطلب...».

ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧)

صيد الخاطر (ص٧٠٦)





القراءة السريعة

القراءة السريعة: مبادئ وتطبيقات:

في أحايين عديدة هناك أشياء كثيرة يجب علينا أن نقرأها وهي لا تستحق عملياً أن ننفق وقتاً كبيراً في قراءتها؛ فإذا لم نكن قادرين على قراءتها بسرعة فائقة؛ فإن ذلك سيكون إضاعة رهيبة للوقت.

ثم إذا نظرنا إلى ما تقذفه المطابع ودور النشر من الكتب، أو ما يكون على صفحات الحاسب الآلي وجدنا الكم الهائل الذي لا يدخل تحت الحصر، وقد يكون من المهم الاطلاع عليها، ولكن قد لا نجد الوقت الكافي لأجل هذا، وباستخدام مهارات القراءة السريعة يمكن حل هذه المشكلة.

القراءة السريعة تزيد في الفهم، وكلما ارتفعت سرعة القراءة كان الفهم أفضل، خلافاً لما اشتهر عند كثير من الناس، وذلك لأمرين:

أحدهما: إن فيها ربط للمعلومات المتناثرة بإحكام وتسلسل.

الثانية: إنها لا تتيح للقارئ الغفلة والسرحان حال القراءة، كما ينشأ هذا عن القراءة البطيئة.

- كان المحدثون يُطْرُون من يقرأ الحديث على الصواب بسرعة فائقة، قال الحافظ أبو إسماعيل الأنصاري (٣٩٥-٤٨١): «المحدث يجب أن: يكون سريع المشي، سريع الكتابة، سريع القراءة»[١]؛ ومن النماذج الرائدة في ذلك:

---

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (٥٩/١).

• أن الحافظ أبا بكر البغدادي (٣٩٢-٤٦٣) سمع على إسماعيل الحيري الضرير (٣٦١-٤٣٠) صحيح البخاري في ثلاث مجالس، قال الحافظ الذهبي (٦٧٣-٧٤٨) معلقاً: «وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه»[١].

• قرأ الحافظ العراقي (٧٢٥-٨٠٦) صحيح مسلم على محمد الخباز بدمشق في ستة مجالس متوالية، وذلك بحضور الحافظ ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥) وهو يعارض بنسخته[٢].

• كان بديع الزمان الهمداني (٣٥٨-٣٩٨) صاحب المقامات ينظر في الكتاب نظراً خفيفاً، ويحفظ أوراقاً ويؤديها من أولها إلى آخرها[٣]، وهذا منتهى السرعة مع الحفظ.

🕮 ملاحظات على القراءة السريعة:

○ لابد قبل القراءة أن نقوم أولاً بتصفح الكتاب واكتشاف مستواه، وحينذاك نقرر أي نوع من القراءة يستحق، فهناك كتب تُقرأ قراءة سريعة لالتقاط النافع منها، وهناك كتب يجب أن تقرأ قراءة دقيقة متناهية؛ لنتمكن من استيعابها وفهمها.

---

(١) انظر: تاج العروس (١/ ١٤).

(٢) انظر: لحظ الألحاظ لابن فهد (ص٢٢٣).

(٣) انظر: معجم الأدباء لياقوت (١/٢٤٤).

وقد نمارس القراءة السريعة في الكتاب كله، ثم نختار منه ما يحتاج إلى معاودة الكرة عليه بإتقان وتعمق أكثر؛ نظراً لما يحويه من معان ومضامين عالية.

○ إن ميزان السرعة في القراءة يعود إلى نوع المقروء وحال القارئ؛ فإن قراءة كتاب ليس للقارئ به معرفة بقليل أو كثير، غير ما يقرأه ولديه معرفة سابقة به... فإن السرعة في الأول غير السرعة في الثاني، وما يطالب به الأول قد لا يتطلب في الثاني وهكذا... ولذا فإن الواعين من القراء يراوحون في قراءتهم بحسب الغرض والكتاب.

○ ينبغي للقارئ بهذه الطريقة ألا يُغْفل تقييد الفوائد؛ بل يرسم لنفسه منهجاً في تقييد الأوابد و الفوائد، ولمِّ الشبيه إلى شبيهه و النظير إلى نظيره، تقوم هذه العملية على السرعة، مع مراعاة كل كتاب وفنه، وما يريده كل قارئ من قراءته تلك.

○ إن القراءة السريعة من المهارات التي تحتاج إلى مران وتدريب كافٍ، فإن بضع ساعات قد توهب لها لا تكفي، بل يفضل أن ينفق في التدرب عليها شهراً أو يزيد.

ثم ليكن هدفك من زيادة معدل قراءتك واقعياً؛ بحيث لا يكون انتقال من بطء شديد إلى سرعة شديدة، وإنما ينال هذا بالتدرب والتدرج.

📖 **القراءة السريعة تتأكد في النواحي التالية:**

- إذا أراد القارئ أن يتعرف على الفكرة العامة للكتاب دون الغوص في معانيه.
- إذا أراد أن يجمع المادة المعرفية اللازمة لبحثه.
- إذا أحب أن يثري دروسه السابقة، أو كان قد تمكن من فن وألم بجمهور مسائله واصطلاحاته؛ فله حينئذ قراءة ما يستجد له من كتب الفن قراءة سريعة، يلتقط فيها ما يجد له من مباحث وفوائد ويقيدها في دفاتره.
- قراءة كتب التاريخ والأدب و السير و التراجم و المجاميع العامة.... حيث إن القراءة السريعة فيها تفي بالغرض؛ نظراً لأن المعاني فيها واضحة لا تحتاج إلى الإبطاء في قراءتها.
- قراءة الصحف و المجلات والأوراق الشخصية أو المعاملات والبريد، ومما يجري مجراها قراءة سريعة؛ لأن الحاجة داعية لقراءتها، ولا تحتاج مع ذلك تطويلاً واستفاضة.

📖 **القراءة السطحية السريعة:**

وعمادها لا تحاول فهم كل كلمة أو صفحة من كتاب صعب تقرأه أول مرة، وإنما اقرأ الكتاب قراءة سطحية سريعة، وعندها سوف تكون مهيئاً لقراءته بصورة أفضل في المرة الثانية[١].

---

(١) انظر: كيف تقرأ كتاباً لمورتيمر آدلر (ص٦١و٥٣).

إن هذا النوع من القراءة يمكن أن يستخدم في الكتب التي يصعب على القارئ قراءتها، لما تتضمنه من أفكار ورؤى تستغلق عليه ، فمن أجل فهمها واستنطاق كل كلمة يحتاج إلى وقت كبير، وإعمال للذهن عسير، وآليات خارجية تعينه على ذلك؛ من معاجم وموسوعات ...؛ مما يفقد الكتاب ترابطه وتسلسله والمحيط العام له، حتى ينسي آخره أوله.

ففي هذه الحال يفضل له القراءة السطحية السريعة، بحيث يقرأه كله بسرعة، ضارباً صفحاً على النقاط التي يجدها صعبة عليه، حتى يصل سريعاً إلى أشياء يفهمها، وبذلك يكون قد عرف المخطط الرئيس للكتاب، والأفكار المهمة فيه؛ وفي أقل الأحوال يكون قد استفاد خمسين بالمائة من الكتاب ومعلوماته؛ فإذا ما قرأ الكتاب مرة أخرى مستخدماً آليات تعين على الفهم فقد استكمل باقي المعلومات والأفكار، أما إذا تقاعس عن قراءة الكتاب مرة أخرى؛ فإن من الخير أن يكون قد فهم نصف معلومات الكتاب، بدلاً من أن يكون فارغ الذهن منه بتاتاً في حال لم يقرأه.

🕮 كيف تقيس سرعة قراءتك ؟

للتعرف على سرعة قراءتك الحالية اتبع الخطوات التالية:

- احسب الكلمات في السطور الستة الأولى................
- اقسم العدد على ستة..................................
- اضرب الرقم في عدد سطور الصفحة....................

- اضرب الناتج في عدد الصفحات التي قرأتها ....
- احسب الوقت الذي استغرقته في القراءة ....
- اقسم عدد الكلمات على زمن القراءة ....

عدد الكلمات ÷ زمن القراءة = سرعة القراءة

وهذه الطريقة لمن رام الدقة في قياس سرعة القراءة، وإلا فيمكن له أن يستخدم طريقة تقريبية سريعة، وهي: أن يضبط الساعة، ثم يبدأ بالقراءة، ثم يتوقف عنها بعد تمام دقيقة واحدة، ثم يحسب السطر الذي توقف عنده، ويضرب عدد السطور في عشرة - وهي متوسط عدد الكلمات في السطر - وما نتج فهو سرعة قراءته.

🕮 طريقة القراءة السريعة [١]:

هناك طرق كثيرة للقراءة السريعة، وعمادها التدرب والتمرين شأن كل المهارات الأخرى، وسوف أكتفي بواحدة منها وهي طريقة (الأصابع)، و تقوم على الأسس التالية:

- قبل أن تطبق هذه الطريقة لابد لك من إجراء اختبار يحدد سرعة قراءتك الحالية، وذلك للتعرف على مستوى قراءتك؛

(١) انظر في هذا الضرب من القراءة: تسريع القراءة وتنمية الاستيعاب للرفاعي وسالم، القراءة السريعة في مجال الأعمال لستيف مويدل، الانطلاق في القراءة السريعة لبيتر كومب، كيف تتقن فن القراءة السريعة للوري روزاكس.

ومن المعروف أن القارئ العادي يقرأ بمعدل ٢٥٠ كلمة في الدقيقة الواحدة.

○ إعداد الكتاب وتهيئته للقراءة من خلال النواحي التالية:

- تأكد من أنك تستطيع أن ترى الصفحة بوضوح.
- اختر جواً هادئاً ومريحاً.
- أُنشُر كتابك بشكل جيد، وتفقد صفحاته، حتى لا تكون متشابكة فيما بينها.
- عليك أن تصبح ماهراً في تقليب الصفحات، فاجعل اليد اليمنى للقراءة واليسرى ممسكة بالجانب العلوي من الصفحة، بحيث تكون مستعدة لقلب الصفحة.

○ حرك أصبعك عبر الصفحة سطراً وراء سطر، ابدأ من اليمين إلى اليسار، ثم ارجع بيدك إلى اليمين لتتحول إلى السطر الأدنى، حرِّك يدك بسرعة مريحة، و ينبغي لعينيك أن تتعقبا أصبعك السائر بدقة، واستخدام العينين دون عمل الأصابع قد يؤدي إلى إهدار كمية كبيرة من الوقت؛ نظراً لبطء العينين وتعلقهما بجمل أكثر من الوقت اللازم لها.

وهذا الأمر ينبغي أن يراعى فيه التدرج على النحو التالي:

- قم باستخدام السبابة بتخطيط السطر كاملاً من أوله إلى آخره.

- ثم تدرج حتى تخطط ثلثي السطر.
- ثم خطط ثلث السطر.

○ لا تنكُص أثناء القراءة؛ أي لا تسمح لنفسك بالتوقف عند أي نقطة لتلقي نظرة على ما سبق أن قرأته، بل أجبر نفسك على التقدم، وهذا التراجع من المعوقات لتسريع القراءة، وفي بعض الإحصاءات أن القارئ المتوسط يقضي ما معدله سدس الوقت الذي يقرأ فيه في إعادة القراءة، ويمكن القضاء على هذا الارتداد إلى الخلف من خلال عمل الأصابع.

○ حاول امتصاص مجموعة من الكلمات أثناء القراءة عوضاً عن النظر إلى كل كلمة بشكل منفرد.

إننا أول ما بدأنا بالقراءة تعلمنا القراءة بالنظر إلى كل حرف على حدة، وبتهجي الكلمة حرفاً حرفاً حتى يتم لفظ الكلمة بأجمعها، ثم تدرج بنا الحال حتى لفظنا الكلمة كوحدة واحدة.

والقراءة السريعة تعتمد على لفظ الجملة بكاملها وامتصاص المعنى منها، وتوسيع مجال نظر العين بحيث تقع على أكبر عدد ممكن من الجمل والمقاطع، ويتم هذا عن طريق التدرج والتمرين:

- البداية بكلمة، ثم بكلمتين وهكذا...

- عدم الاهتمام بالحروف الموصلة للمعنى كـ (على)، و(إلى) والقيام بتمييز المعنى من خلال الكلمات فقط.
- قراءة الجملة كلها وأخذ المعنى منها، وهكذا الجملتين والثلاث...
- قراءة المقاطع الكبيرة...
- قراءة السطر والسطرين والثلاثة وهكذا....

ولا ريب أن قوة القراءة السريعة تزداد نسبة ودرجة كلما أَلِفَ القارئ الإدراك السريع للكلمات والتراكيب؛ نظراً لأن القراءة بهذا الاعتبار قراءة بالعقل؛ لأنه هو الذي يحلل العبارات، وليست العينان؛ ولذا تجد مثلاً من يكتب بسرعة فائقة من خلال لوحة مفاتيح الحاسب الآلي لا يفكر فيما يكتب ولا يلقي بالاً على الكلمات.

ومن هنا ينبغي للقارئ أن يقرأ بعقله وينصرف إلى تحليل العبارات والوقوف على معانيها، دون الاهتمام بالكلمات.

○ انطق بصوت صامت وغير ملفوظ؛ ذلك أن القارئ كثيراً ما يشعر بصوت خفيض في داخله يعيقه عن تسريع القراءة، ومعلوم أن لفظ الكلمة كـ (صورة) أسرع وصولاً إلى المخ من لفظها كـ (كلمة)، ومما يشهد له أننا نشاهد اليد مثلاً فتتحول إلى عقولنا على شكل صورة ولا تكون على شكل لفظ..

○ بعد أن تطبق هذه الخطوات السالفة تطبيقاً عملياً قم بإجراء اختبار لتحديد مدى تقدمك في القراءة، وحاول أن تكتشف الخلل الذي يعيقك عن تسريع القراءة؛ فإذا وجدته فأضف إليه مزيد اهتمام وتطبيق.

🕮 مما تقدم يمكن أن نجمل الأسباب التي تؤثر في القراءة وتعمل على بطئها في سبعة أسباب:

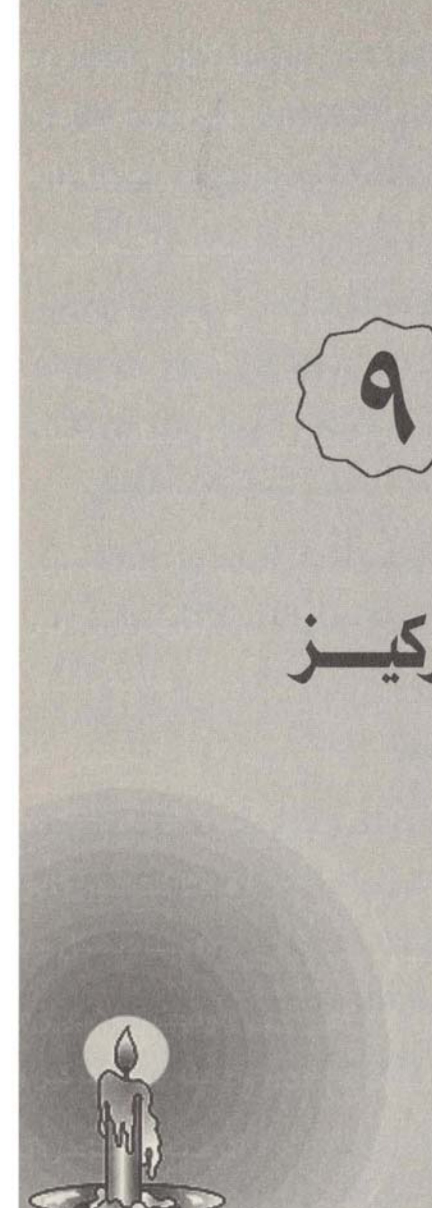
- التلفظ بصوت عالي.
- القراءة بصوت من الداخل؛ وهي الهمهمة التي تكون في النفس.
- تكرار السطر.
- التركيز على الكلمة وحدها .
- التراجع المتكرر.
- البطء في تقليب الصفحات.



عرض للفقيه أحمد بن محمد بن الرفعة (٦٤٥-٧١٠) وجع المفاصل، بحيث كان الثوب إذا لمس جسمه آلمه، ومع ذلك معه كتاب ينظر إليه، وربما انكب على وجهه وهو يطالع.

الدرر الكامنة (٢٨٧/١)





٩

التركيــز

يعد الفهم والتركيز في القراءة من أهم ما يعتني به القارئ؛ إذ هو لب القراءة، وتحسينها يثمر الفائدة التي يروم إليها القارئ، ويصبو إليها في قراءته تلك؛ لأن القراءة بلا تركيز ولا فهم لما يقرأ وجودها كفقدها.

إن فقد التركيز يعد مشكلة دائمة، فكثيراً ما نلهج بالشكوى المُرَّة من شرود الذهن وانصراف البال، وقلة الرغبة التي قد تنتابنا في بعض مطالعتنا وقراءتنا، وربما سارع البعض منا إلى إلقاء الكتاب واطِّراح القراءة جانباً، وهذا بالطبع ليس علاجاً للخلل.

إن العلاج لهذه المشكلة يتم باستخدام آليات ومبادئ تحسِّن من تركيزنا، وبالتالي نرفع من قدرتنا على الفهم والاستيعاب، ومن أهمها[1]:

🕮 إيجاد الدافع نحو القراءة:

في أحايين نمارس القراءة وتكون الرغبة لدينا تجاهها: معدومة، أو ناقصة، أو تُعْوِزُها الجدية، وتنتابها السلبية... ونكون مع هذا محتاجين إلى القراءة لأسباب شتى، كما لو كانت من رسوم العمل، أو واجبات الدراسة، أو أننا نريد رفع قدراتنا في علوم ومهارات لا شهوة لنا فيها، وهي مما يقبح في نظرنا جهلها والتعامي عنها.

---

(١) انظر في بعضها: القراءة السريعة في مجال الأعمال لستيف مويدل (ص ٩٠- ١٠٦)، القراءة السريعة المهنية لجير هارد هورنر.

لأجل ما تقدم وغيره لا بد لنا من إيجاد الدافع والرغبة التي تدفعنا ليس إلى القراءة الجامدة فقط، وإنما إلى التركيز فيها، والعَبِّ من معانيها وألفاظها، والعيش معها، ويتم هذا عن طريق :

○ **التعبير الإيجابي المباشر:** الذي يجمع بين القول والتصور:

- أما القول فيكون باللهج بالكلمات المعبرات المحفزات، مثل: أنا أستطيع.. أنا سأفعل... ومن ثم تجنب عبارات التمني أو الشك، فضلاً عن الكلمات السلبية التي تدعو إلى الخمول والكسل.

إن التقريع والتكبيت للنفس لا يعمل شيئاً، ولا يدفع إلى التركيز، بل يعمل على ضد هذا، إنه يعمل على تفريغ القارئ من طاقته واللوذ بالقعود وترك العمل.

إن التحفيز القولي غير المفرط -الذي لا يدعو إلى الغرور- له فائدة جليلة وبه يخرج العمل إلى حيز الوجود.

- أما التصور فعن طريق تخيل أننا أدينا قراءة الكتاب بنجاح، وفهمناه بشكل جيد.

وبهذين الأمرين نكون قد أعملنا كلا فَصَّيَ المخ، وهذا ينتج عنه قمة التركيز والتفاعل مع ما نريده ونصبو إليه.

○ **الرغبة والمشاعر:** تخيل! كيف يكون شعورك عندما تصل إلى هدفك المنشود، فتنهي الكتاب بتمامه مع الفهم والاستيعاب!!

لا شك إنه شعور البهجة والسرور... اعمل على تحقيق ذلك، مستعيناً بذكريات سالفة حققت فيها نجاحات ومكاسب، وتصرف كأنه واقع منظور.

إن الإحساس بالفهم والنجاح دافع للاستمرار على القراءة، وقديماً كان السرور يرتسم على محيا المختلفة[١]، وعلى صفحات وجوه الطلبة، حكي «أن جالينوس كان يقرر يوماً مسألة مشكلة، والطلبة به محدقون؛ فقال لهم: فهمتم؟ قالوا: نعم، قال: لو فهمتم لظهر السرور على وجوهكم»[٢].

🕮 الانتباه وتوجيه التركيز:

يعد التشتيت من عوائق الفهم والتركيز الصحيح، وقد لا يتفطن له فئة من القراء ظناً منهم أنه أمر هامشي، مع أن أثره في الاستمرار في القراءة والمضي فيها لا ينكر، ومبعث التشتيت أمران:

○ **أحدهما: التَشتِيت الخارجي**، وهو يتنوع بتنوع المشتتات المختلفة، وسوف أورد هنا علاجاً لأربعة منها، وبضدها تعرف المشتتات الخارجية وهي:

- الإضاءة الجيدة: التي بها تكون الرؤية واضحة بلا إجهاد للعين أو إرهاق لها، أو إبهار لنظرها.

---

(١) المختلفة: هم الطلبة الذين يختلفون إلى المعلمين والشيوخ.

(٢) صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبو غدة (ص ٢٠٠) عن إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١/٣١٥).

- الجلسة الصحيحة التي بها تستطاب القراءة، ويرتاح الجسم.

- درجة الحرارة في الغرفة يفضل أن تكون متوسطة بين الحر والقُرِّ، حتى لا يصاب القارئ بالملل أو النعاس والنوم.

- الجلوس في الأماكن الهادئة، وتجنب مصادر الإزعاج والضوضاء التي تكدر صفو القراءة والأنس بها، وأيضاً تجنب أماكن الالتهاء أو التي تصرف الأبصار، وتشغل القلب، وتأخذ بالأسماع كالبساتين وشطوط الأنهار، أو قوارع الطرق...

ولذا كان من المناسب تهيئة مكان خاص للقراءة؛ فهو مما يحفز على التركيز ويعمل على شد الانتباه؛ نظراً لأن الجلوس فيها يستدعي أجواء القراءة ويتم الانخراط فيها بسرعة أكبر مما لو كان في غيرها من الأماكن.

ومن مواصفات هذا المكان أن يكون جيد الترتيب، حسن التهيئة، عبق الرائحة... حتى يكون محبباً لدى صاحبه.

○ **الثاني: التشتيت الداخلي**، الذي ينتاب القارئ، وهذا مثل الخوف والقلق والأرق... وهذا يمكن علاجه بالبحث عن سببه، ومن ثم معالجته والقضاء عليه.

وإن كان السبب مبعثه من المقروء نفسه؛ بأن كان مما يستوجب عليه مطالعته وفهمه وأنه سيخضع لمساءلة أو اختبار... فهذا يمكن أن يزال بالاسترخاء التام، والصد

عما يوجب القراءة إلى حين؛ حتى لا يكون هذا له أثر في سلب التركيز فيما يقرأ.

الاهتمام:

لا نجد مشكلة في التركيز فيما لو كانت القراءة داخلة تحت اهتمامنا، والاهتمام هو الركيزة المهمة التي تدفع إلى التركيز، ومن الأولى جعل جُلِّ قراءتنا تحت دائرة اهتمامنا، وهذا يفيد في تنمية الاختصاص والاستيعاب في المقروء.

لكن ما حالنا مع القراءات التي لا نهتم بها، مع أنها من المهمات في البناء العلمي والفكري، وتخلفنا عنها ينتج عنها نقص في خلال عديدة...

إن من الممكن استبدال كلمة (الاهتمام) التي هي المطلب الأول في كل عمل بـ (التحفيز) الذي يمكن أن نجعله مكان الاهتمام، وهو يعمل على التركيز.

وهذا التحفيز قد يكون معنوياً أو مادياً، كما لو كان له أثر في كسب مالي أو رتبة في وظيفة... أو سواها.

الاسترخاء:

عندما يقوم الجسم بالاسترخاء فإن معظم الطاقة الذهنية تتجه إلى المهمة التي تقوم بأدائها، ويرجع ذلك إلى أن الجسم يعد المصدر الأساسي للتشتت، وفي حال الاسترخاء يتجنب الشخص مساءلة نفسه عن مدى فهمه لما قرأ.

🕮 التقسيم:

قسم ما تقرأه إلى أجزاء وأبعاض سهلة التناول، مراع فيه التدرج والاستعداد، وهذا يُنْتِجُ فائدتين:

- **إحداهما:** أن القارئ كلما اجتاز جزءاً منها كان هذا دافعاً له وحافزاً على المضي والاستمرار، ومن ثم لا يصيبه الضيق والضجر فيترك الكتاب.

- **الثانية:** أنه بذلك يحصل تمام الفهم في جميع ما يقرأه، فلا يخل بشيء منه؛ لأن كثيراً من القراء إنما يتذكرون من الكتاب أوله أو آخره، أما أوساطه وثناياه فلا ذكرى لها.

🕮 تحفيز التركيز من خلال أسئلة خمسة:

- **ماذا أعرف عن الموضوع؟**

دَوِّن ما تعرفه عن الموضوع، والملاحظات التي قد تبدو لك، بحيث لا تتجاوز المدة التي تقضيها في التدوين خمس دقائق؛ وهذا مما يحفز ذهنك ويوقد شمعة التفكير فيه، حتى تتواصل مع أفكار الكاتب وما يطرحه، فقد يكون ما لديك أجود مما طرحه، أو تكون معلوماتك مغلوطة أو غير ذلك... وكل هذا له موقع في تفكيرك وتوقد ذهنك، بينما لو كنت خلواً من التفكير في هذا الموضوع فلا أخالك تستفيد كثيراً من قراءتك تلك.

○ **ماذا أريد أن أعرف عن الموضوع؟**

دَوِّن ما تريد أن تعرفه عن موضوع الكتاب الذي تطالعه، وما هي المعلومات التي تريد الحصول عليها، وحينئذ سوف تتوقف كثيراً عن تلك الإجابات التي تبحث عنها، ومن ثم تفحصها بمنظار الناقد البصير، ومن خلال هذا أيضاً تتعرف على ما أغفلته من تساؤلات قد يكون منها المهم وقد يكون منها ما لا يدخل تحت اهتماماتك فتتركه جانباً.

○ **لماذا أقرأ؟**

سبق لنا في أول الكتاب الإجابة عن هذا السؤال، ولكن لا بد أن نلاحظ هنا الأهداف والأغراض الخاصة الدقيقة لكل قارئ التي بها يتَّقد التركيز، وهذا من مثل الأغراض التالية:

- الحصول على حقائق.
- مراجعة مسائل معينة.
- معرفة معلومات جديدة.
- تأكيد لاعتقاد سابق.
- التسلية.

○ **طرح تساؤلات متعددة الجوانب أثناء القراءة منها:**

- ما الحقائق الجديدة في النص؟

- ما الذي يرمي إليه الكاتب في كلامه هذا؟
- هل هناك ما يؤيد قوله أو يناقضه؟

إن هذه السؤالات تهيئ البيئة الصالحة للتركيز، والبحث في غمار الكلام المقروء عن الإجابات التي قد لا تكون واضحة المعالم.

○ **قم بدور المتوقع:**

حاول أن تستخلص ماهية الخطوات والتصرفات التي خطط المؤلف لها لتكون هي الخطوة التالية في النص.

📖 وسائل تعين على الفهم والتركيز:

○ اختيار الكتاب المناسب للقارئ والتدرج في سلم القراءة على ضوء ما سبق.

○ اختيار الوقت المناسب مع الكتاب المناسب له، فمطالعة الكتب الثقيلة المتينة تكون في أوقات النشاط، وتوقد الذهن.. بينما تكون الكتب الأقل جهداً وكلفة في أوقات الكسل والخمول.

إن العلماء السابقين قد لاحظوا هذا الأمر في تقسيم الأوقات للمتعلمين، ومن ذلك ما قاله الحافظ الخطيب البغدادي (٣٢٩-٤٦٢): «أجود الأوقات: الأسحار، ثم بعدها وقت أنصاف النهار، وبعدها الغدوات، دون العشيات...»[(١)]،

---

(١) الفقيه والمتفقه (٢/٢٠٧) .

وهذا في الغالب، وإلا فإن الطباع تختلف، ومما يؤكد أهمية هذا أن داخل كل إنسان ساعة بيولوجية - وهي تلك الساعة التي يكون فيها الشخص أكثر تركيزاً وقدرة على العمل الذهني والبدني - ومن خلال الانتباه لها والعناية بها يحصل تركيزاً أكبر خاصة في الفنون التي تكون صعبة على القارئ.

وإذا كان لا يعرف الوقت الذي ينشط فيه، فيمكن معرفته من خلال الاختبارات التجريبية؛ وذلك بأن يقرأ في ساعات متباينة.. ثم يتعرف على الوقت الذي فيه يبلغ مبلغاً كبيراً في الاستيعاب والتركيز.

○ قبل قراءة الكتاب ينبغي للقارئ تصور أجزائه وأبعاضه المهمة ورسمها في ذهنه على شكل شجرة؛ طلباً للذكرى والوعي بأجزائه وعياً لا يغيب؛ وهذا كمن رأى مخطط بيت فتصوره قبل أن يدخله فإنه يقع في ذهنه أحسن موقع.

وكلما كان التصور مقروناً بالصور المعبرة كان هذا أجدى للفهم والتذكر؛ لأن الذهن يحتفظ أكثر بما هو صورة؛ فإن البصريات أكثر علوقاً من السمعيات؛ فكم من إنسان تتعرف عليه فتنسى اسمه ولازال طيفه أمامك، وحين يقع بصرك عليه حيناً من الدهر تعرف أول ما تعرف صورته وشكله قبل اسمه ولقبه.

○ لا تخلط بين علم وآخر، وكتاب وآخر، واجعل همتك منصرفة إلى الكتاب بأجمعه حتى تنهيه، ولا تخلطه بغيره.

إنك سوف ترى أن لذة الانتهاء من الكتاب مدعاة إلى محاولة القراءة مرة أخرى، أما إن شتت نفسك في كتب عديدة -مع أن هذا له فائدة وهي عدم الملالة والسآمة- فإنه يقتضي منك زمناً -أخاله طويلاً- حتى تفرغ من الكتاب، وهذا ذريعة أن ينسي أواخره أوائله، وتتقطع أوصاله، فلا يتم الربط بين أجزاء الكتاب برابط، ويعسر فهمه لهذا، ويقضى على لذة الانتهاء من الكتاب التي توقد الحياة في دماء القراء.

ومن نصائح ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨) للمعلم قوله: «وكذلك ينبغي لك أن لا تطوِّل على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع المجالس، وتفريق ما بينها؛ لأنه ذريعة إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعضها... ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يُخلط على المتعلم علمان معاً؛ فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر؛ فيستغلقان معاً...»[١].

إن قمة التركيز تعني أن يتعمق القارئ في القراءة إلى الحد الذي يجعله لا يعود يسمع أو يرى شيئاً مما يحدث حوله، ويغرق في القراءة ويستلذ بها.



(١) المقدمة (ص٥٢٢-٥٢٣).

أحمد بن عبد الله المهدي كان آية في الدراسة والمطالعة، لا يكاد يسقط الكتاب من يده حتى عند طعامه.

ترتيب المدارك (٦/٢٧٣)





المساعدات الخارجية

🕮 المقصود بالمساعدات الخارجية:

هي كل ما يفيد في فهم الكتاب وتوضيح الملتبس فيه وإزالة الغامض منه، بحيث يذلل صعوبات ما يقرأه.

لكن قبل هذا لا بد أن يبذل القارئ جهده الفردي، وتفكيره العقلي بعيداً عن المساعدات الخارجية، نظراً لأن الاتكاء على هذه المساعدات في استجلاء المعاني لا يفيد في تنمية الفكر واستيعاب الكتاب، بل بالعكس يعمل على تقطيع أفكار الكتاب، ويُفقد الترابط بينها، و يعمل على تشتيت ذهن القارئ حتى ينسى أفكار الكتاب، ثم إنه يعطي للذهن راحة، فلا إعمال في الألفاظ، ولا غوص في المدركات، حتى يكون تقبل القارئ لأفكار ومعاني الكتاب تقبل المترف الذي لا يعي أهمية ما يعطى؛ نظراً لأنها أتت إليه على طبق من الراحة.

وليس معنى ذلك عدم استخدام المساعدات الخارجية بتاتاً وإنما تستخدم حال الحاجة إليها، وعن طريقها يتم تذليل الصعوبات التي تعترض القارئ في قراءته.

🕮 ومستخدم المساعدات الخارجية لا بد أن يلاحظ ما يأتي:

○ أن هذه الكتب -أعني التي تساعد على الفهم- إنما وضعت لأجل حل ما يشكل على القارئ، وليس من مهامها تفهيم الكتاب كله؛ و حينذاك لابد أن تكون المشُكلات معروفة

مسبقة بشكل محدد ومرسوم، وبهذا الصنيع يصل إلى مبتغاه بوقت أسرع وبجهد أقل، وبمعرفة أكبر، ورؤية أوضح.

- أن يكون المستعمل للمراجع والمعاجم ملماً بطريقة الإفادة منها حتى يتوصل إليها بسرعة، فلا تتقطع به السبل، وينفق وقتاً كبيراً حين يريد الكشف عن معنى، أو البحث عن لفظ.

📖 المساعدات الخارجية على أنواع، منها:

- الاستعانة بالشروح أو التعاليق على الكتاب، وكذا ما يجري مجراها من مستدركات وتعقبات وما إليها...

هذه المساعدات يمكن أن يرجع إليها القارئ في حال الاستغلاق أو الغموض الذي يلف بعض الجمل والمعاني، ولا يرجع إليها في كل صغيرة وكبيرة، حتى تغدو قراءة أخرى.

إن من لا يقوى على قراءة أصول الكتب فليكتف بالشروح المؤلفة عليها، وتكون القراءة منها ابتداءً وانتهاءً، لا رجوعاً إليها، وبهذا تتم له قراءة الكتاب كله، ويسلم من تقطيع وحدة الكتاب.

- الاستعانة بالمختصرات والمستخلصات الجيدة على الكتاب، وينبغي أن تكون قراءتها بعد قراءة الكتاب ليتذكر معلوماته.

ويمكن أن يرجع إليها في توضيح فكرة غامضة في الكتاب؛ لأن المستخلصات الجيدة تفيد في توضيح الكتاب وإبراز المهم

منه وإعادة صياغة بعض الفِقر والجمل الغامضة التي تعترض القارئ.

ومن الخطأ الشائع الاكتفاء بالمستخلصات والمنتقيات عن الكتاب الأصلي؛ لأن هذا يؤدي إلى تسطيح العقل، والكسل الذهني، ومن ثم التعود على الراحة العلمية، حيث لا يمارس فيها مجهوداً عقلياً كبيراً في فهم الكتب العلمية التي تكون صعبة التراكيب أو غامضة الدلائل؛ مع أن قراءة الكتب الأصلية تفيد في صقل المواهب، ومعرفة اصطلاحات العلماء وأساليبهم التي لا تتم إلا بهذا.

لقد كان فئة من المؤلفين يأبى كل الإباء أن يقوم هو باختصار كتابه، أو أن يقوم غيره بهاتك المهمة، ظِنَةً منه بالفوائد التي يحفل بها كتابه، أو خشية الإخلال بمراده وما قصد إليه، قال ياقوت الحموي (٥٧٤- ٦٢٦) في فاتحة كتابه (معجم البلدان): «... اعلم أن المختصر للكتاب كمن أقدم على خلق سوي؛ فقطع منه أطرافه؛ فتركه أشلَّ اليدين، أبتر الرجلين، أعمى العينين، أَصْلَم[١] الأذنين؛ وكمن سلب المرأة حليها فتركها عاطلاً، أو كمن سلب الكَمِيَّ[٢] سلاحه فتركه أعزل راجلاً.

(١) أصلَم: مقطوع الأذنين من أصلهما.
(٢) الكَمِي: الشجاع أو لابس السلاح.

وقد حكي عن الجاحظ أنه صنف كتاباً وبوبه أبواباً، فأخذه بعض أهل عصره، فحذف منه أشياء وجعله أشلاء، فأحضره وقال له: يا هذا إن المصنف كالمصور !، وإني قد صورت في تصنيفي صورة كانت له عينان فعورتهما، أعمى الله عينيك، وكان لها أذنان فصُلَتُهما، صل الله أذنيك... حتى أعدَّ أعضاء الصورة...»[1].

- الاستعانة بالموسوعات والمعاجم والمراجع ذات الصلة بموضوع الكتاب مما يحتاجه القارئ أثناء القراءة، ولتكن قريبة المنال حتى لا يضيع عليه وقتاً في جلبها وتهيئتها، ولا يرجع إليها إلا بعد استغلاق المعاني عليه تماماً؛ فإن استطاع فهم الكلمة من خلال السياق والسباق فليكتف بهذا ولا يحتاج إلى أن يراجع المعاجم حتى لا تضيع وحدة الكتاب وتسلسله، وإن كان المعنى لا يتم إلا بالكشف عن تلك الكلمة فلا بد أن يبحث عنها في مصادرها بقدر ما يوضح المعنى ولا يزيد عليه.

- معرفة المصادر و المراجع التي رجع إليها المؤلف، ليرجع إليها القارئ في حال استغلق فهمه على بعض العبارات، وصعب عليه شيءٌ من المصطلحات؛ لأن المؤلف قد يكون بنى فكرة

(١) معجم البلدان (١ / ٢٩)، وقد اختصره سيف الدين عبدالمؤمن البغدادي (٦٥٨-٧٣٩) في كتاب (مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) فقد قال في فاتحته: «ولم أقبل منه شرطه الذي شرطه، ولا التزمت حظره الذي حظره في اختصاره وتغييره، فإن ذلك شرط لا يلزم، ومظنة الفائدة تقدم».

كتابه أو خطوطه الرئيسة على تلك الكتب؛ لأن كل كتاب يتولد من تتابع كتب أخرى قبله، فمعرفتها تفيد في فهم ما استغلق منه والتبس.

وسوف أذكر لك مثالاً واحداً على هذا وهو كتاب (روضة الناظر) في أصول الفقه لمؤلفه الشيخ ابن قدامة (٥٤١-٦٢٠) فإنه اعتمد كثيراً على كتاب (المستصفى) للغزالي (٤٥٠-٥٠٥)، ولذا تجد في الروضة ما يشكل ويحير، وبالمقارنة مع المستصفى يحل الإشكال بصورة سريعة.

○ شراء أكثر من نسخة للكتاب إذا كانت مغايرة للأولى؛ فهذا يفيد في توضيح ما يقع في النسخة الأولى من الأخطاء التي ربما لا يتمكن القارئ من معرفة وجه الصواب إلا بالنظر إلى النسخة الأخرى، وهذا لمن كان له اهتمام بالغ في كتاب معين يريد أن يقرأه ويستوعب ما بين جلادتيه.

وقد كان بعض القراء يشتري أكثر من نسخة للكتاب، ومن ذلك :

• قال الجاحظ (١٥٠-٢٥٥): «حدثني موسى بن يحيى قال: ما كان في خزانة كتب يحيى ، وفي بيت مدارسه كتاب إلا وله ثلاث نسخ»[١].

(١) الحيوان (٦٠/١) .

- وفي ترجمة برهان الدين ابن جماعة (٧٢٥-٧٩٠) أنه كان مغرماً بالكتب، حتى إنه يشتري النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحسن، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنفه فيشتريه ولا يترك الأولى [١].

- قال المقريزي (٧٦٦-٨٤٥): «حكى لي ابن صورة الكتبي أن ابن القاضي الفاضل التمس مني أطلب له نسخة من (الحماسة) ليقرأها؛ فأعلمت القاضي الفاضل فاستحضر من الخادم الحماسات، فأحضر له خمساً وثلاثين نسخة، وصار ينفض نسخة نسخة، ويقول: هذه بخط فلان وهذه عليها خط فلان حتى أتى على الجميع، قال: ليس فيها ما يصلح للصبيان، وأمرني أن أشتري له نسخة بدينار» [٢].



---

(١) إنباء الغمر لابن حجر (٣٥٥/١).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم (ص١٦٥ الحاشية) عن الخطط للمقريزي (٣٦٧/٢)، والمعنى الذي من أجله سقت هذا المثل هو أن القاضي الفاضل كان لديه من كتاب (الحماسة) نسخ متعددة دالة على اهتمامه البالغ بالكتاب.

أنا من بَدَّل بالكتب الصِّحابا	لم أجد لي وافياً إلا الكتابـا
صاحب -إن عبته أو لم تعب -	ليس بالواجد للصاحب عابـا
كلمـا أخلقتـه جـددنـي	وكساني من حلى الفضل ثيابا
صـحبة لم أشـك منهـا ريبـة	ووداد لـم يكلفـني عتـابـا

شوقي (١٢٨٥-١٣٥١)
الشوقيات (١٧/٢)





توضيح الجمل وكتابة الفوائد



إن التعليق على الكتاب والعناية به يدل على اهتمام القارئ وتفاعله مع الكتاب، وإعمال للقريحة كبير.

وقد كان قبلاً علامة على صحة الكتاب والوثوق به، فقد قال الإمام الشافعي (١٥٠-٢٠٤): «إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح؛ فاشهد له بالصحة»[1]، وقال أبو زيد النحوي (١١٩-٢١٥): «لا يضيء الكتاب حتى يظلم»، يريد إصلاحه[2].

🕮 الملاحظات على كتابة الفوائد:

- كتابة الفوائد والتنبيهات المهمة؛ كتنبيه على إشكال، أو احتراز أو رمز، أو سوى ذلك مما يلطف..ولتكن الكتابة بلفظ دقيق متقن على حافتي الكتاب.

ولقد كانت كتابة الساقط في الحواشي محل عناية من قبل المحدثين، ويسمى عندهم (اللحَق) قال ابن الصَّلاح (٥٧٧-٦٤٣) مبيناً كيفية ذلك: «أن يخط من موضع سقوطه من السطر خطاً صاعداً إلى فوق، ثم يعطفه بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللحق، ويبدأ في الحاشية بكتابة اللحق مقابلاً للخط المنعطف، وليكن ذلك في حاشية ذات اليمين...»[3].

(١) الجامع للخطيب (١/٢٧٩).
(٢) المصدر السابق (١/٢٧٧).
(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص٩٤).

○ **ويجتنب في تعليقاته الأمور التالية:**

• تسويد الكتاب بنقل المسائل والفروع الغريبة التي يمكن الرجوع إليها في مواقعها.

• أن يكثر الحواشي كثرة تظلم الكتاب أو تضيع مواضعها على طالبها، أو تسلب الاستمتاع بالكتاب؛ إذ قد يَطَّرِحُ جمهرة القراء الكتاب من أجل هذا.

• الكتابة بين الأسطر، إذ فيها خلط وتشويه للكتاب[1].

○ تقييد الأسماء وما يُشْكِلُ بالشَّكْلِ؛ حذراً من بوادر التصحيف والإبهام[2]؛ لأن الأسماء مبنية على السماع، ولذا يكثر التصحيف فيها، قال ابن ثوابه (ت٣١٢هـ): «إعجام الكتاب يمنع من استعجامه»[3].

○ من الملاحظات في تدوين التعليقات -خاصة التي تكون وليدة درس أستاذ أو مذاكرة مع صاحب- أن من يقوم بها أراد السرعة والعجلة وكتابة كل ما يسمع وتدوينه على الكتاب وعلى حواشيه، وحينئذ يعتري أسلوبه ما يعتريه، ويكون خطه

---

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ص١٧٣و١٨٦و١٩١)، جواهر العقدين للسمهودي (٣٨٦/١).

(٢) الجامع للخطيب (٢٧٩/١).

(٣) رسالة في علم الكتابة لأبي حيان (ص٢٣).

رديئاً، حتى لا يتمكن له تبين ألفاظه وكلماته، فضلاً عن الاستمتاع بقراءته؛ ولهذا كان من المفضل كتابة هذه التعليقات في دفتر مستقل، ومن ثم نقلها إلى الموضع المراد مع تنقيحها وتهذيبها بصورة أفضل ترغب القارئ في قراءتها.

📖 كتابة الفوائد والتنبيه على الجمل المهمة له طرق عديدة منها:

- وضع خط تحت الجمل المهمة، أو التي تعبر عن الأفكار الرئيسة، وهناك من يضع خطين تحت الأفكار الرئيسة وخطاً واحداً تحت الأفكار المهمة الأخرى، لكن من المهم الحذر من تشويه الكتاب بكثرة الخطوط أو الرسوم، وإذا شعر القارئ أن هناك مجموعة من الأسطر المتعاقبة تحمل أفكاراً ورؤى مهمة فليضع علامة من بدايتها إلى نهايتها كالأقواس ونحوها..

وهذه الخطوط والعلامات التي رسمها القارئ في كتابه يمكن أن يعود إليها مرة أخرى استذكاراً لمعلومات الكتاب بسرعة فائقة، ويمكن أن يصطحب هذا الكتاب في جيئه وذهابه، ويكون بهذا الصنيع قد قام بقراءة الكتاب مرة أخرى، بوقت أقصر وبفائدة أكبر، وهي طريقة يسير عليها لفيف من القراء.

وقد حفظ لنا التاريخ ما يدل على استخدام هذه الطريقة، قال العباس بن بكار الضبي (١٢٩-٢٢٢) للمفضل الضبي

(ت١٦٨هـ): ما أحسن اختيارك للأشعار، فلوزدتنا من اختيارك؟ فقال: والله ما هذا الاختيار لي، ولكن إبراهيم بن عبد الله استتر عندي فكنت أطوف وأعود إليه بالأخبار فيأنس ويحدثني، ثم عرض لي خروج إلى ضيعتي أياماً، فقال: اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها، فتركت عنده قمطرين فيهما أشعار وأخبار، فلما عدت وجدته قد علَّم على هذه الأشعار، وكان أحفظ الناس، فجمعته وأخرجته، فقال الناس: اختيار المفضل[١].

- وضع نجمة أو أكثر إلى جانب الأكثر أهمية، أو وضع أرقام متسلسلة في سياقات النص، خاصة في الجمل التي يرى القارئ فيها ترتيباً مخالفاً لما في الكتاب.

- أن يضع نقاطاً حسب ألوانها أو أشكالها.. فمثلاً النقاط ذات اللون الأحمر للجمل المهمة، والنقاط الخضراء لما يريد نقله إلى دفاتره، أما ذات اللون الأزرق فهي مما يحتاج إلى مراجعتها في مظانها؛ وإنما يرسمها بهذا النحو؛ إذا لم يتمكن من مراجعتها في وقتها، أو رغبة منه ألا يقطع خلوته بالكتاب المقروء، فإذا انتهى منه راجع المسائل المشكلة ونقل المسائل المهمة.

- وضع أرقام الصفحات الأخرى على هامش الصفحة التي

(١) انظر: المزهر للسيوطي (٢/٣١٩).

يقرؤها؛ للإشارة إلى أي من الصفحات التي أثار الكاتب النقاط نفسها في سياق كتابه، أو الإشارة إلى الصفحات المماثلة أو المناقضة لما كتبه في الصفحة المعينة؛ وتكمن الفائدة من هذه الطريقة في ربط أفكار الكتاب بعضه مع بعض، لاسيما إذا كان الكتاب خلواً من الفهارس الكاشفة؛ لأن «الكتب بلا فهارس كنز بلا مفتاح»، وأيضاً البحث عن غرض الكاتب من تكرارها والفوارق فيما بينها، فإن كان هناك تناقض بين النصين فلا بد من التأكد منه، ومن ثم الترجيح بينهما مما يراه القارئ راجحاً.

○ الكتابة على الهامش، في أعلى الصفحة أو أسفلها مما يتعلق بالمقطع المقروء لأغراض شتى، منها:

- تسجيل أسئلة على المقطع، ولتكن بدقة متناهية منسجمة مع الفكرة التي يثيرها الكاتب، حتى تعطي صورة قريبة عما يثيره النص.

- الإجابة عن الأسئلة التي يثيرها النص، حيث إن طائفة من المؤلفين قد يثير تساؤلات ويتركها غُفْلاً لحفز القارئ، أو يومي إليها إيماءً قد لا ينتبه لها إلا بلوازمها، وقد تكون إجابات أثارها النص في ذهن القارئ لم يقصدها الكاتب.

- إيراد فكرة أو رأي مغاير لما طرحه المؤلف؛ ولتكن بألفاظ قصار مع الحجة والدليل، وهذا يحتاج معه إلى إعمال للذهن كبير.

- اختصار المناقشات المعقدة في جمل بسيطة، لا سيما تلك الجمل الطوال التي لا يجمعها جامع، أو التي يلف تراكيبها الغموض وتتداخل فيها الضمائر... مع أن معانيها بسيطة لا تحتاج إلى كل هذا اللف والتعقيد؛ ولذا فإن من الخسارة بمكان أن يخلص القارئ إلى معانيها ثم يتركها دون تقييد، مع أنه ربما عاد إلى قراءتها مرة أخرى وعانى ما عانى من غموضها، قد لا يقف على ما وقف عليه أولاً.

- تسجيل النقاط الأساسية في سياق النص، وهذه طريقة فئة من محققي الكتب، حيث يسجلون عناوين النصوص المهملة التي تتميز عما قبلها في المضامين.

○ يمكن استخدام الصفحات البيضاء التي تكون في نهاية الكتاب أو فواتحه:

- فهرساً للنقاط التي بحثها الكاتب مسلسلة حسب ورودها، وهذا إنما يكون بمنظار القارئ الذي قد يختار المهم منها ويترك سائرها.

- للإشادة بمقطع من الكتاب أو فكرة منه، أو لطيفة من لطائفه، وهذا أمر ذائع عند كثير من القراء.

- أن يضع تلك المعلومات في ورقة خارجية تكون ملصقة في أول الكتاب أو آخره؛ كما لو كانت ورقة تعريفية عن الكتاب.

○ أن يسجل القارئ المتمكن خواطر عن الكتاب، يقوم بعرض موجز عنه؛ وذلك بوضع هيكل متكامل عن الكتاب، مع مختصر أساسي لترتيب أجزائه؛ يكون معيار فهمه للكتاب؛ وهذا الموجز يعبر عن ملكيته الفكرية؛ كما أن كتابة اسمه على طُرَّةِ الكتاب يكون لإثبات ملكيته المالية[١].

○ القارئ الجيد هو الذي يستفيد من المعلومات المخزنة في ذاكرته، والتي هي عرضة للنسيان، ومن سبل ذلك أن يعلق على الكتاب الذي يقرأه؛ فحيثما وردت مسألة مهملة، أو حديث لم يبين مصدره أو سوى ذلك مما يقع في اهتمام القارئ... وهو يعلمه مسبقاً، فيقوم ببيانها بصورة مختصرة معتمداً على ذاكرته.

ولو لم يكن في هذه الطريقة إلا تفاعل القارئ مع الكاتب؛ وذلك بتكميل محاسن الكتاب، وسد بعض من الأخطاء التي يقع عليها لكان ذلك عملاً مفيداً.

والقارئ في عمله هذا يفيد أول ما يفيد نفسه؛ فقد يقرأ الكتاب مرة أخرى؛ فإذا هو محلى بتلك الفوائد ربما يستغربها ولا يتذكر أنها من صنعه؛ فإذا ما قرأها مرة ثانية استفاد منها، وهكذا من يقرأها من بعده.

---

(١) انظر: كيف تقرأ كتاباً لمورتيمر آدلر (ص٧٠-٧١).

○ من أجل هذا كانت مكتبات العلماء ممن وافاه الأجل غالية المطلب؛ لما تحفل به من تعليقات واستدراكات قد تكون أغلى من الكتاب نفسه، وهذا في العَالم كله، وفي هذا الصدد يقول أحد الغربيين وهو جورج سانتايانا: «هناك كتب تكون فيها الحواشي أو التعليقات المدونة من قارئ ما على الحوافي شيقة أكثر من النص»[(١)].

○ وقد كان من عادة العلماء التعليق على الكتب، والاهتمام بالنسخ التي تحتوي على ذلك، وله أمثلة متعددة منها:

● قول السيوطي (٨٤٩ - ٩١١): «ظفرت بنسخة منها (أي من الجمهرة) بخط أبي اليمن أحمد بن عبد الوهاب بن قابوس الطرابلسي اللغوي، وقد قرأها على ابن خالويه بروايته لها عن ابن دريد، وكتب عليها حواش من استدراك ابن خالويه على مواضع منها ونبه على بعض أوهام وتصحيفات..»[(٢)].

● بل من الفوائد ما تكون معلقة على الهوامش فيأتي من يؤلف بينها ويجمعها في كتاب مفرد، ومن ذلك أن بدر الدين الزركشي (٧٤٥-٧٩٤) استعار من سراج الدين البِلِقيني (٧٢٤-٨٠٥) نسخته من الروضة فلقي على الهوامش فوائد

---

(١) تاريخ القراءة لآبرتو(ص١٩٨)، ولم أجد من جمع (حَفّ) حوافي، وإنما (أحِفَّة)، وإن أريد به جانبي الكتاب فيقال: حافتيه، والأصح أيضاً (شائقة)، وليست شيقة.

(٢) المزهر (٩٥/١).

فجمعها في مؤلف مستقل فصارت بذلك تصنيفاً ينسب للبلقيني(١).

- بل قد نجد من المؤلفين من يعتمد على هذه التعليقات، وينقلها إلى شرحه على الكتاب من غير نسبة، ومن ذلك أن أحمد بن موسى الموصلي (٥٧٥ - ٦٢٢) ألف شرحاً على (التنبيه) سماه (غنية الفقيه) قال ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١): استعار مني نسخة من التنبيه كلها حواشٍ مفيدة بخط الشيخ رضي الدين سليمان بن المظفر الجيلي (ت ٦٣١هـ)، ورأيت بعد ذلك قد نقل الحواشي كلها في شرحه(٢).

- وقد يكون أصل الكتاب مستدركاً على كتاب آخر مكتوب على حواشيه و هذا مثل: أن أصل كتاب الحافظ ابن كثير (٧٠١-٧٧٤) (جامع المسانيد والسنن) كان تذييلاً على كتاب الحافظ شمس الدين ابن المحب (مسند أحمد)؛ فإن ابن كثير أعجب بصنيع ابن المحب حيث رتب المسند على حروف المعجم فألحق به في الهوامش من الكتب: (السنن) و(مسندي ابن أبي يعلى والبزار)، و (معجمي الطبري) مما ليس في المسند، قال الحافظ ابن حجر (٧٧٣-٨٥٢): «وهو الأكثر في

(١) الدرر الكامنة لابن حجر (٣/٣٩٧) .
(٢) انظر: كشف الظنون (١ / ٤٨٩)، وانظر مثالاً آخر في الضوء اللامع (٩ / ١١٩).

أوقاف المحمودية: المتن وترتيب ابن المحب، والإلحاقات بخط ابن كثير في الهوامش والعصافير»[١] .

- كان من عادة العلماء والنساخ كتابة التعليقات والفوائد على ظهور الكتب أو طرتها، وهي كتابات تتعلق بالكتاب أو مؤلفه، أو فوائد منثورة، ونوادر وأشعار، وضوابط مختلفة.... وكان فئة من العلماء والأدباء اتكأ عليها في كتبه، وممن أكثر من النقل منها ياقوت الحموي (٥٧٤- ٦٢٦) في كتابه (معجم الأدباء)[٢]، و هذا يرجع إلى أنه ممن عمل في نسخ الكتب وبيعها.

- و لنفاسة هذه الكتابات قام مؤلفان بجمع أحاسنها:

- أحدهما قديم: وهو جمال الدين علي بن يوسف القفطي (٥٦٨- ٦٤٦) وسمى كتابه (نزهة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب والدفاتر)[٣].

- والآخر معاصر: وهو جميل بن مصطفى العظم (١٢٩٠- ١٣٥٢) وكتابه مطبوع وسماه (الصُّبَابَاتُ فيما وجدته على ظُهور الكتب من الكتابات).

---

(١) إنباء الغمر لابن حجر (١/ ٤٠)، وفي تاج العروس (٣/ ٤٠٨) مادة (عصفر) أن العصافير تطلق على الكتب.

(٢) انظر على سبيل المثال: معجم الأدباء (١/ ١٢١و٢٥٨ و٢٥٥)، المزهر للسيوطي (١/ ٩٥) .

(٣) انظر: من أخلاق العلماء لمحمد سليمان (ص٣٢) .

○ وينبغي الاهتمام بالرموز والعلامات التي يستخدمها ولا يجعلها غُفلاً عن البيان فينسى مدلولاتها فيما بعد، ويمكن أن يستفيد مما ذكره العلماء - وخاصة المحدثون منهم- من أشياء تنظيمية في **تصحيح الأخطاء وضبط المُشكل**، ومنها:

- أن يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب وهو محل شك عند مطالعته، أو تطرق احتمال (ح) صغيرة.
- أن يكتب فوق ما وقع في التصنيف، أو في النسخ وهو خطأ (كذا) صغيرة، ويكتب في الحاشية صوابه إن كان يتحققه.
- وإن لم يعلم صوابه فيُعلم عليه ضبة وهي صورة رأس صاد (صـ) تكتب فوق الكتابة غير متصلة بها؛ فإذا تحققه بعد ذلك فكان الكلام صواباً زاد تلك الصاد حاءً فتصير صح، وإلا كتب الصواب؛ فهذا الرمز (صـ) يعني الشك فيما قرأه[١].
- إذا وجد خطأ في الكتاب فلا يعمد إلى طمسه وإزالته، بل يخط من فوقه خطاً جيداً يدل على إبطاله[٢]، وإنما كان الخط بهذه الصورة حتى لا يقع التشويه في صفحات الكتاب، وليتمكن من استدراكه في حال تبين له خطأ ما فعل.

---

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ص١٨٢) فتح المغيث للسخاوي (١٧٦/٢).

(٢) انظر: الجامع للخطيب (٢٧٨/١).

«غبرت -أي مكثت- أربعين عاماً ما قِلت ولا بتّ ولا اتكأت إلا والكتاب موضوع على صدري».

الحسن اللؤلؤي (ت ٢٠٤هـ)
الحيوان (٥٢/١)





تدوين الفوائد



من المهمات أن يرسم القارئ لنفسه برنامجاً لتقييد الفوائد والشوارد التي تمر عليه أثناء المطالعة في دفاتر وأوراق خاصة به، ويكتب الخلاصات للكتب التي قرأها.

إن هذه التقييدات هي التي تبقى من قراءتنا وما سواها فتذروه الأرياح، وتتعاقب عليه السنون فيطويها النسيان، قال ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦) في فاتحة كتابه (عيون الأخبار): «ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرصة تمر مرَّ السحاب».

إن قراءة تلك الفوائد المكتوبة من قبلنا ومن قبل غيرنا تقودنا إلى التعرف على عديد من تفاصيل قد نسيناها من قبل، وعن طريقها نسترجع تلك التفاصيل التي قد لا تساعدنا ذاكرتنا على تذكرها؛ خاصة إن كانت محكمة النظام.

لقد كان العلماء يحثون الطلاب على تقييد ما يمر بهم من فوائد، وأن يصطحب معه في كل وقت مَحْبَرَة يكتب ما يسمع من الفوائد، وقالوا: «لا بد للطالب من كُنَّاشي يكتب فيه قائماً أو ماشياً»[(١)]، وقال الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٠) : «من حفظ فرَّ، ومن كتب شيئاً قرَّ»[(٢)]، وقال الشعبي (١٩-١٠٣): «إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في الحائط»[(٣)]؛ مبالغة في تدوين الفوائد.

---

(١) الكُنَّاشة: هي الأوراق التي تجعل كالدفتر، يقيد فيها الفوائد والشوارد، انظر تاج العروس للزبيدي، مادة (كنش) (٣٤٧/٤)، كناشة الرفاعي (ص١٤).

(٢) انظر:الجامع للخطيب (١٨٣/٢)، تعليم المتعلم للزرنوجي (ص٤٨) .

(٣) العلم لأبي خثيمة (ص ١٤٤ رقم ١٤٦)، وروي نحوه عن الزهري كما في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص٦) .

وقال المنصور: «إن هذه الحكم تند، فاجعلوا الكتب لها حماة، والأعلام عليها دعاة»، وقال أبو أيوب المورياني (ت١٥٤هـ): «حلوا عواطل العلم بالتقييد، وحصنوها من شبه التحريف»[(١)].

📖 **وعلى القارئ قبل ذلك أن يلاحظ الآتي:**

○ ينبغي أن لا ينكب على تسجيل الفوائد التي تمر عليه قبل أن يلاحظ أمرين:

- أن يفهم فكرة الكاتب جيداً ويتروى كثيراً فيها؛ حتى لا يقع في فهم خاطئ لم يرده قائله؛ نظراً لأنه سيعبر عن الكلام المنقول بآخر من عنده قد لا يكون بالضرورة مطابقاً لمراد كاتبه.

- أن يجد الشكل الأفضل المناسب لتسجيل تلك الفوائد، حتى لا يضيع عليه وقتاً في تغيير مكانها الأصلي أو نقلها منه.

○ أن يكتب أحسن ما يسمع أو يقرأ، ولا يسود الصفحات فيما يجده في غيره، بل يكتفي بالفرائد من الفوائد و مستحسن النوادر، أو ما هو في غير مظانه، أو من كان دائراً تحت اهتماماته.

إن من يكثر النقل حتى ينقل الطِّم والرَّم وما هو مبثوث في كثير من الكتب فإنه سيقع عليه عبءٌ كبيرٌ في أمور عديدة:

---

(١) رسالة في علم الكتابة لأبي حيان (ص٢٢-٢٣) .

- أولاً: في النقل والكتابة، حيث سينفق عليها وقتاً ليس بالقصير في كتابتها ورَصْفِ عباراتها.

- وثانياً: في التصنيف والترتيب.

- وثالثاً: في المراجعة والقراءة، وكثيراً ما يهجر القارئ قراءتها نظراً لكثرتها وتفاهتها.

إن من يبحث في أوراقه التي جناها في سنيه الأولى سيجد أنها من عبث الشباب أو من جده واجتهاده، وهي على كل علامة على تطور فكر كاتبها، نظراً أنه يجد فيها الواضح الذي لا يحتاج معه إلى تقييد، أو يجد الفرائد التي قد أُنسيها، وهذا كله يشير إلى تطور فكره ونموه.

لقد كان يعرف فضل الرجل من منتقياته واختياراته؛ ولذا اشتهرت كتب لحسن اختيار مؤليفها وانتقائهم البديع، وهي طريقة القراء الواعين.

قال يحيى بن خالد (١٢٠-١٩٠): «أدركت أهل الأدب وهم يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون»[١].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ١٣٠)، والمصون في الأدب للعسكري (ص١٣٥)، وروي نحو منه عن مصعب بن الزبير في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص٦).

وقال سليمان بن موسى (ت١١٩هـ): «يجالس العلماء ثلاثة: رجل يسمع ولا يكتب ولا يحفظ، فذاك لا شيء؛ ورجل يكتب كل شيء، فذلك الحاطب؛ ورجل يسمع العلم فيتخيره ويكتب فذلك العالم»(١).

وقال أبو عمر: «انتقاد الشعر أشد من نظمه، واختيار الشعر قطعة من عقله».

وقد صدق من قال:

قد عرفناك باختيارك إذا كا ن دليلاً على اللبيب اختياره(٢)

***

وللزنبور والبازي جمعياً لدى الطيران أجنحة وخفق

ولكن بين ما يصطاد باز وما يصطاده الزنبور فرق

○ ينبغي أن يكون تقييده لتلك الفوائد بخط واضح بيِّن، مرتب محكم النظام؛ حتى إذا عاد إليه مرة أخرى وجده على تلك الحال التي تعين على القراءة.

لقد رأى أبو حنيفة (٨٠-١٥٠) كاتباً يُقَرْمِط الكتابة فقال: «لم تقرمط خطك!! إن عشت تندم، وإن مت تشتم»، وقال أحد العلماء: «ما قرمطنا إلا ندمنا، وما انتخبنا إلا ندمنا، وما لم

---

(١) الجامع للخطيب البغدادي (٢/ ١٥٠) .

(٢) محاضرات الأدباء للراغب (ص٤٥) .

نقابل إلا ندمنا»[١]، وقال حنبل بن إسحاق (ت٢٧٣هـ): «رآني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطاً دقيقاً، فقال: لا تفعل، أحوج ما تكون إليه يخونك»[٢].

○ أن تكون الفوائد والملخصات التي يكتبها القارئ موجزة العبارة، متكاملة المضمون؛ لتشكل انطلاقة له في التفكير والمراجعة والإعداد، وحين يقرأها ثانية يتذكر من خلالها كل شيء مرَّ عليه في الكتاب؛ فهي تشير إلى معاني الكتاب حال مطالعتها بألطف إشارة وأوجز عبارة.

🕮 على القارئ أن يسلك الأصلح في تقييده للفوائد ومن الطرق المقترحة:

○ تقييد الفوائد على جلادة الكتاب أو غلافه، وهي أحفظ؛ لأنها في الكتاب نفسه، وتكون بألفاظ يسيرة تشير إلى المعنى وتومئ إليه؛ نظراً لقرب تناولها وسرعة الوصول إليها، ومع هذا فقد لا يتفطن إليها القارئ إذا تقادم عليه الزمان وتفرقت كتبه؛ إلا إذا فهرس الفوائد في كراس يجمع الفوائد المتناثرة في الكتب، أو قام بتصوير تلك الفوائد المدونة على جلادة الكتاب، وضمها مع غيرها في ملف للفوائد المتناثرة في الكتب التي قام بقراءتها.

---

(١) انظر: تعليم المتعلم للزرنوجي (ص٢٠)، تذكرة السامع و المتكلم لابن جماعة (ص١٧٧)، والقرمطة: دقة الكتابة.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٥٨).

○ تصوير الفوائد من الكتاب نفسه، ثم جعلها في ملفٍ خاصٍ حسب العلوم أو حروف المعجم، ويمكن أن يستعاض عن التصوير بتخزينها في الحاسب الآلي عن طريق الماسح الضوئي (اسكنر) وترتيبها ترتيباً مناسبًا.

وهذا الطريقة توفر على القارئ وقتاً كبيراً؛ غير أن قلم القارئ لا أثر له في تلك الفوائد لا اختصاراً ولا رصفاً للعبارة ولا سواها.. إلا التصوير!!، وينتج عنه أيضاً طول الكلام وتشعبه، مما يؤثر في تكديس الأوراق وكثرتها.

○ من الطرق الجميلة أن يعمد القارئ إلى كتاب من أمهات كتب الفن، أو الموضوعات، ويقيد الفوائد التي تمر عليه أثناء القراءات المتعددة في الفن على حواشي الكتاب الذي ارتضاه غير ما كان مكتوباً فيه؛ ولو أنه اختار - مثلاً - في التفسير (تفسير ابن كثير) فليجعله العمدة، وليقيد ما يمر به في علم التفسير في مواضعه، وليختار النسخة التي تحوي في جوانبها هوامش كثيرة، أو ليجعل أوراقاً بيضاء في طياته حتى يتمكن من الكتابة فيه بشكل واسع.

وهذه الطريقة كانت سائدة عند العلماء الأوائل، ومن ذلك حاشية أحمد بن قاسم العبادي (ت٩٩٤هـ) على المختصر في شرح تلخيص المفتاح في البلاغة، فإنه قد جمعها بعض تلامذته من خطه في هوامش المختصر، ورمز إلى المنقول عنه بالحروف؛ فإنه كتبه من فوائد حاشية الشريف

الجرجاني، وناصر الدين الطبلاوي، والسيد عيسى الصفدي، وابن جماعة، قال حاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧): «فصارت حاشية عظيمة مفيدة إلى الغاية» [١].

○ من الطرق التي يفضل عملها أن تكون لدى القارئ جُزازات ورقية صغيرة يجعلها في الكتاب الذي أراد قراءته، يقيد فيها ما يمر عليه من فوائد ومُلَحٍ وجمل وكلمات جميلة... ثم بعد أن ينتهي من قراءة الكتاب يضعها في صندوق مخصص لذلك، حتى يفرغ لها و ينقلها إلى دفاتره، أو في ملفات في الحاسب الآلي، ويمكن أن يكتبها في حال تعب أو ملل أو غيرها، كما كان القراء الأوائل يجعلون بري الأقلام وتقطيع الأوراق في تلك الأوقات الضائعة[٢].

و يرتبها ترتيباً قائماً على العلوم، أو على الحروف الأبجدية حسب ما يراه..

لا ريب أن هذه الطريقة أضبط وأرتب، وهي كنز للقارئ وإليها يعمد في حاجاته وبحوثه.

ومن هذا القبيل صنيع العلاَّمة بدر الدين الزركشي (٧٤٥-٧٩٤) صاحب المصنفات الكثيرة التي تمتاز بالجمع؛

---

(١) كشف الظنون (١ / ٤٧٨).
(٢) كما كان ابن الجوزي يفعل هذه الأشياء حال لقاء البطَّالين، انظر: صيد الخاطر (ص ٣٨٥) .

فإنه كان يطالع في حانوت الكتب طول نهاره، ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه، ثم يرجع فينقلها إلى تصانيفه[١].

○ **ويمكن أن يفرز هذه الجزازات والإضبارات ويصنفها على نحو مما يأتي:**

- النظائر والأشباه؛ وذلك بأن يضم النظير إلى نظيره والشبيه إلى شبيهه، وحينئذ يجتمع له كم هائل منها، قد تكون نواة لكتب يعدها فيما بعد، حيث يضم شتاتها في موضع واحد، وإذا نظرنا في كثير من كتب البحاثة أحمد تيمور باشا (١٢٨٨-١٣٤٨) مثلاً؛ كعيوب المنطق، والمهندسين في الإسلام وجدنا كثيراً منها ثمرات يانعات من قراءاته المتعددة.

- تقييد رؤوس المسائل والفوائد مرتبة على حروف الهجاء مقرونة بمراجعها، وعلى هذا النحو كتاب (كُنَّاشة النَّوادر) للمحقق عبدالسلام هارون (١٣٢٧ - ١٤٠٨) فقد قال في فاتحته: «وقد قيدت في هذه الكُنَّاشة على مدى اشتغالي بالبحث والتحقيق زُهَاء نصف قرن، نحو ثلاثة آلاف مذكرة هي رؤوس مسائل ...»[٢].

وكان أحمد زكي باشا (١٢٨٤-١٣٥٣) يعتمد في تواليفه ومراجعاته على جزازات رتبها على الحروف كالفهارس في

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر (٣٩٨/٢) .

(٢) كناشة النوادر (ص٩).

موضوعات مختلفة؛ في الأدب والتراجم والتاريخ والجغرافية، ودونها في أثناء مطالعة الكتب القديمة والحديثة[١].

قال محمد بن إبراهيم النحاس النحوي (٦٢٧ - ٦٩٨):

اليوم شيء وغداً مثله ... من نُخب العلم التي تلقتط

يحصل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النقط[٢]



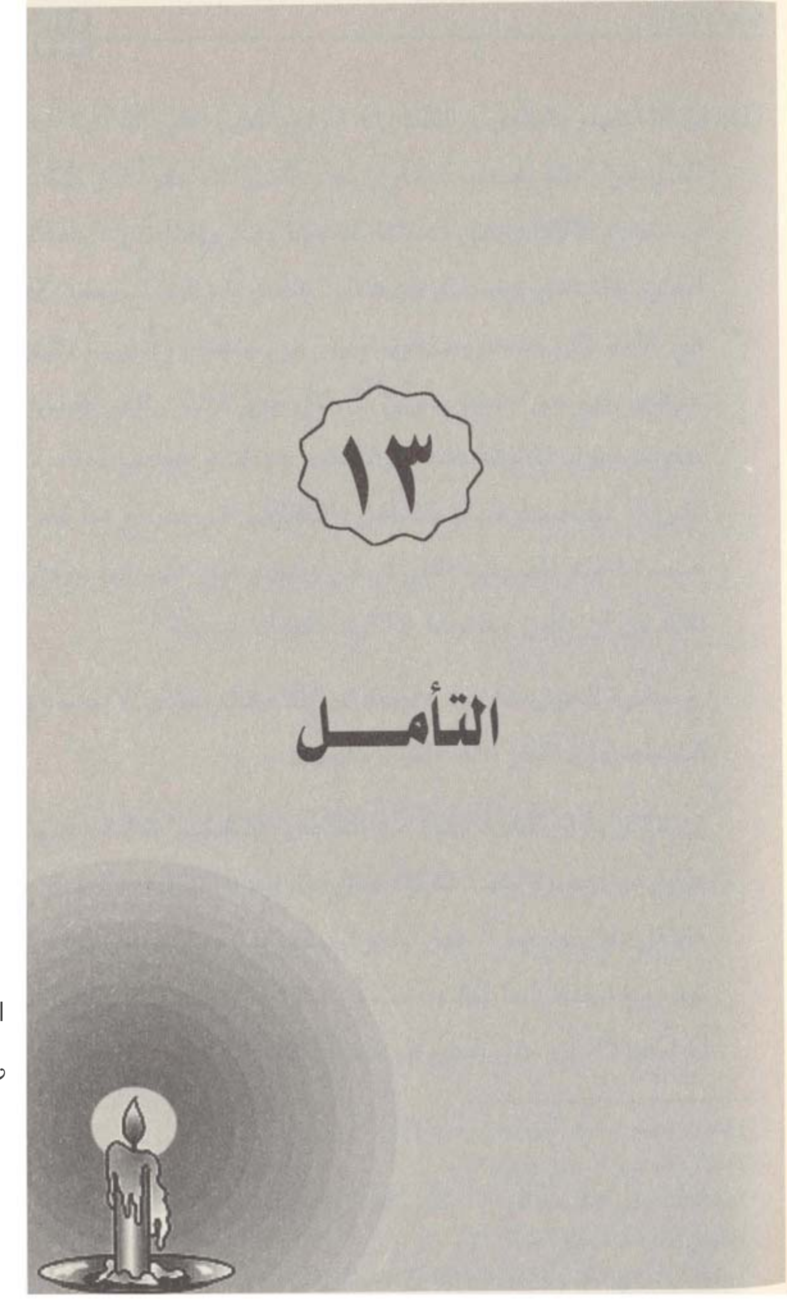
(١) الأعلام للزركلي(١/١٢٧) .

(٢) بغية الوعاة للسيوطي (١/١٣)، وعنه الشيخ بكر أبو زيد في النظائر (ص ٢٥٤) .

لاحظ الفرنسيون خللاً أدى إلى هبوط يسير في نسبة القراءة عند الشعب الفرنسي، فنظموا برنامجاً أطلقوا عليه اسم «جنون المطالعة» نزل فيه وزير الثقافة، وكبار المؤلفين الفرنسيين، وكل المعنيين بشؤون الثقافة إلى الشوارع، والساحات العامة، والحدائق، وفتحوا أبواب المكتبات العامة على مصراعيها أمام الجماهير، وأخذوا يقرؤون لها، ويحثونها على القراءة، في محاولة لرأب الصدع وسد الخلل.

هموم ناشر عربي لمحمد عدنان (ص١٤٥) .





١٣

التأمـــل

📖 إن الاهتمام بالتأمل و التفكر له مردود كبير على القارئ؛ وهو الذي من أجله يعمد القارئ نحو القراءة، نظراً لأن الكتب مستودع الأفكار متى أعملنا عقولنا بها، وإنما تُدرك دقائق العلوم بالتأمل، وصدق من قال: «تأمل تُدرك»[(١)]، ومما نقل في الأمثال: حفظ حرفين خير من سماع وِقْرَيْن، وفهم حرفين خير من حفظ وِقْرَيْن[(٢)]؛ قال جون لوك: «القراءة تزود عقولنا بمواد المعرفة فقط، والتفكير هو الذي يجعلنا نملك ما نقرأ»[(٣)]؛ فحيث قمنا بالتأمل والتفكير في عرض ما نقرأ حصلنا منه المعرفة التي تبقى وتنمو مع غيرها، و«على الإنسان أن يكون مخترعاً إذا أراد القراءة جيداً»[(٤)].

وصفوة القول أنه يجب أن نفكر أثناء القراءة أو الاستماع؛ كما يجب أن نفكر أثناء القيام بأبحاث.

○ إن القراءة إن كانت خلواً من التأمل والتفكير فالنفع منها هزيل، والثمرة منها قليلة؛ قال بيرك: «القراءة بلا تفكير كالأكل بلا هضم»[(٥)]؛ فهل يا ترى يستفيد الجسم من طعام لا تهضمه المعدة، أما ينقلب سماً زعافاً يستدعي استفراغاً أو إسهالاً!! إن حال بعض قراءتنا هكذا.

---

(١) انظر: تعليم المتعلم للزرنوجي (ص٣٦) .
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٣٤) .
(٣) مقتطفات في الكتب والقراءة د/كامل العسلي (ص١٥٣) .
(٤) تاريخ القراءة لآبرتو (ص٢٠٣) .
(٥) مقتطفات في الكتب والقراءة د/كامل العسلي (ص١٥٧) .

○ إن التساهل بالفهم والتأمل قد يعود على صاحبه بالتبلد والتغافل؛ قال أحدهم: «إذا تهاون الإنسان في الفهم، ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك؛ فلا يفهم اليسير»[١]، وقد نلجأ إلى القراءة حتى نسلم من التفكير؛ نظراً للطريقة التي نتبعها في القراءة واختيار الكتب.

○ إن القراءة إذا جامعها التفكير والتأمل خليقة أن تصنع رجلاً عميقاً ومثقفاً بارعاً؛ وإليك هذه القصة التي تشير إلى اهتمام القوم بالتأمل، قال المازني (ت٢٤٨هـ): «سألت الأخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل ثم ذكره... قال الأخفش: أنا منذ ولدت أسأل عن هذا، وقال المازني: سألت الأصمعي، وأبا زيد، وأبا مالك عنه فقالوا: ما ندري ما هذا»، قال السيرافي: «لم يُفسر هذا الحرف فيما مضى إلى أن مات المبرد، وفسره أبو إسحاق الزجاج بعد ذلك»[٢].

قال الإمام الشافعي (١٥٠-٢٠٤) بعد أن أجاب عن مسألة مشكلة:

إذا المشاكلات تصدّينني ... كشفت حقائقها بالنظر

ولست بإمعة في الرجال ... أسائل هذا وذا ما الخبر؟

ولكنَّني مِدرَةُ الأصغريـ ... ـن فتَّاح خير وفرَّاج شر[٣]

---

(١) انظر: تعليم المتعلم للزرنوجي (ص٣٤).

(٢) مقدمة كتاب سيبويه لعبد السلام هارون (٣٢/١).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٠٠/١) المِدْرَةُ: المقدم في اللسان واليد.

○ إن المعيار الذي به تتعرف على قيمة الكتاب هو ذاك الكتاب الذي يفتح لك نوافذ الفكر؛ ولذا «فالكتاب الذي لا يدع قارئه يفكر فيه بعد فراقه، ليس بكتاب قيم؛ كما أن الصديق الذي يُنسَى بسهولة ليس صديقاً»[١].

وليس من شرط الكتاب القيم أن يكون طلاسم؛ وحينئذ يجد القارئ تأملاً أكثر حيث الغموض الكبير الذي يلف العبارات، وإنما هذا النوع من الكتب التفكير فيها معدوم ولا عوائد تذكر للقارئ منها.

○ من المهم أيضاً أن لا يكون غرض القارئ من القراءة ابتداءً:

- أن يتحلى بالمناقضة والتفنيد لكل ما يقرأ.
- أن يسلِّم بكل ما يقرأ.
- أن يجد موضوعاً للحديث والمناقشة في المجالس.

إن القارئ إن كانت هذه الأمور السالفة أمام عينيه فإنها تحجبه عن الاستبصار بما يقرأ والتأمل فيه، ويكون همه هاتك النواحي.

○ ومما يزيد في عملية التفكير ويرفع من كفاءة التأمل (**استخدام المهارات المختلفة في فن القراءة**)؛ ومن تلك المهارات الملاحظة الحادة، والذاكرة المهيأة، والذهن المتمرس

(١) مقتطفات في الكتب والقراءة د/كامل العسلي (ص١١) والعبارة لبهيج عثمان .

في التحليل والتفكير؛ كما هي تستخدم في التعلم والتدريس؛ وذلك أن القراءة بهذا المعنى اكتشاف[١].

ومن نافلة القول أن نقول: إن أنواع التفكير مختلفة كاختلاف طرق التعليم.

○ وعليه أولاً وأخيراً أن يرد كل فهم و تأمل وتوفيق إلى الله تعالى، ويطلب الهداية منه بالدعاء والتضرع إليه، ولا يعجب برأيه وعقله، وينسى شكر الله و الثناء عليه.

قال أبو حنيفة (٨٠-١٥٠): «إنما أدركت العلم بالحمد والشكر، فكلما فهمت شيئاً من العلوم ووقفت على فقهٍ وحكمةٍ، قلت: الحمد لله، فازداد علمي»[٢]، وينبغي له إذا استغلق فهمه على شيء أن يلجأ إلى الله تعالى طالباً منه الفهم والعلم؛ فقد كان هذا دأب علماء السلف وهجيراهم.

○ وكان العلماء ربما تركوا بعض المعاني غفلاً قصداً للتأمل فيها، والكشف عنها:

• قال الحميدي (ت ٤٨٨هـ): «ما راجعت الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب، وقال: حتى أكتشفه»[٣].

---

(١) انظر: كيف تقرأ كتاباً لمورتيمر آدلر (ص ٢٨).

(٢) انظر: تعليم المتعلم للزرنوجي (ص ٣٨).

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/١٢٠٤).

• ذكر صلاح الدين الصفدي (٦٩٧-٧٦٤) أبياتاً مبهمة، ثم قال: «قد تركت هذا المعنى غفلاً، ولم أوضح معناه لتعمل قريحتك، وتشحذ ذهنك في استخراج النكتة، فإنه إذا ظهر لك هزَّ عطفك وكاد يطير بلبك..»[١].

📖 **والتأمل والتفكير الذي نطالب به القراء له شقان:**

○ **الشق الأول: التأمل والتفكير أثناء القراءة:**

إن هذا التأمل يكون في تراكيب الجمل، ومرامي المعاني، والغوص في جواهر الكتاب ولآلئه، والوقوف عما يشكل ويدق أكثر من الوقوف عما يلفت ويبهر من المعاني والألفاظ، «والقيام بتفحص النص بدقة وربط النهايات والأفكار السائبة بعضها ببعض، والإنصات إلى نغم وإيقاع الكلمات والمعاني، والبحث عما تخبئه من أسرار»[٢].

وفي أثناء القراءة قد يمر عليك ما يَجلُّ عن الفهم، ولا يدق عن المتفهم البصير، الذي يتأمله كَرةً بعد كرة، ورجعة بعد أخرى حتى يلوح له وجه الصواب، وبالتأمل يَشْرُفُ قدر العالم بما يقرأ من غيره؛ إذ يناله بالفكرة واستنباط المعرفة، ولو كان كله بيناً لاستوى في علمه الجميع، فيبطل التفاضل؛ ولكن يستخرج الغامض من المعاني بالتدبر، وعليه ألا يكل ولا يمل من ذلك؛ لأنه يزاد في تدبره علماً وفهماً.

---

(١) الغيث المسجم (١ / ٤١٠).

(٢) تاريخ القراءة لآبرتو (ص٢٥) .

فإن كان التأمل يسبب له انقطاعاً عن القراءة حيث يمضي الوقت الطويل فيه، ومن ثم يحصل عنه تقطيع أوصال الكتاب، وتشتيت أفكاره، فله أن يرجأ تلك التأملات الطويلة بعد أن ينتهي من الكتاب، ويرمز لها برمز حتى يرجع إليه بعد ذلك.

ويلخص لنا القاضي عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) التأمل الذي يتحقق به العلم بالشيء بقوله: «واعلم أنك لا تَشفي الغلة ولا تنتهي إلى ثلج اليقين، حتى تتجاوز حدَّ العلم بالشيء مجملاً، إلى العلم به مفصَّلاً، وحتى لا يقنعك إلا النَّظر في زواياه، والتغلغلُ في مكامنه، وحتى تكون كمن تتبَّع الماء حتى عرف مَنبعه، وانتهى في البحث عن جوهر العُود الذي يُصنع فيه إلى أن يعرف مَنبته، ومجرى عروق الشَّجر الذي هو منه»[1].

• ومما يعين على فهم المشكلات التي تعترض القارئ أن يصوغها على شكل أسئلة محددة، وبالجواب عنها تتضح المسألة أو الفكرة الغامضة، وقد كانت هذه طريقة بعض المؤلفين الأقدمين من أجل الوقوف على كنه المسائل وتصويرها تصويراً تاماً ومنهم:

- البدر العَيني (٧٦٢-٨٥٥) في شرحه الشهير على صحيح البخاري (عمدة القارئ) فإنه رتب شرح كل حديث على نقاط

(١) دلائل الإعجاز (ص٠ ٢٦١).

مُعَنْوَنة، ومنها (الأسئلة والأجوبة)، وهي التي ترد في عرض الحديث وتثار على معانيه، وبالجواب عنها يتضح المعنى ويزول الإشكال.

ـ ابن الرَّصَاع (ت٨٩٤ هـ) في شرحه على حدود ابن عَرَفة (٧٣/١) فإنه في حد الطهارة أورد إشكالات من الناظرين في كلام ابن عرفة (٧١٦-٨٠٣) صيغت على شكل أسئلة، وبالإجابة عنها يفهم كلامه ويزول الإشكال.

- وقد يذكر المؤلف ما يتوقع من إثارات على الفكرة أو النص من قبل القراء، فيعمد إلى ذكر التساؤلات بقوله: (فإن قلت)، ويعقبها بإجاباته عنها بقوله: (قلت)، وهذا كثير في كتب المتقدمين، ومنها الكتاب السالف (شرح حدود ابن عرفة).

○ **الشق الثاني: التأمل والتفكر بعد قراءة الكتاب:**

إن من القراء من إذا خلص إلى نهاية الكتاب اطرحه جانباً، مرتاح البال، يرى أنه حقق إنجازاً ما دام فرغ منه، ثم لم يكلف نفسه بعد بالتأمل والتفكير فيما قرأه؛ ظناً منه أن في هذا تزجية للوقت فيما لا ثمرة له فيه ولا عائدة منه؛ مع أن هذا - كما تقدم - هو الثمرة الحقيقة لما قرأ، وتركها أو تأخيرها له أثر سيئ في جني هذه الثمرة التي قد آتت أكلها.

إن القارئ بعد الفراغ من قراءة الكتاب لا بد أن يسأل نفسه عن مردود هذه القراءة وثمرتها، و مدى استيعابه لما قرأ،

أو فهمه مراد المؤلف... ولو أنفق الساعات الطوال في سبيل هذا فليس هذا بكثير.

إن هذا التأمل العميق الذي به يستكمل القارئ الكتاب الذي قرأه، هو معين لا ينضب للقارئ؛ فهو الحصيلة العلمية المختصرة التي يجنيها من خلال قراءته تلك، وقد يخرج عن طريق تأليف مستقل، أو اختصار لما قرأه، أو تذييل له أو سوى ذلك...

لقد كان القراء الأوائل حينما يخرج كتاب قد أبدعه صاحبه؛ فإن الأيدي والعقول تتناوله إقراء وحفظاً وشرحاً، واختصاراً، وتعليقاً ونقداً وتذييلاً..وربما خرج عن طريق كتاب أو تعاليق ممن رامَ الكتابة والتأليف، والظن بأن كثيراً من ذلك العهد طوى تلك القراءة الفاعلة في ذهنه فلم يخرجها إلا لنزر محدود من طلابه ومريديه، وهذا قد يفسر ما يوجد في كتب الأوائل من مقولات ومباحث مستلة من كتب أخرى من غير عزو لقائلها، فقد يكون من أسبابها أن القارئ لذلك الكتاب المتقدم قد استوعبه حفظاً وتشبع بأفكاره وآرائه، وجمله وكلماته، فكان يتسرب إليه حين التأليف معاني المؤلف المتقدم، بل جمله وعباراته، **وإليك أمثلة على ما ذكرت:**

- قال جمال الدين الإسنوي (٧٠٤ - ٧٧٣): عن كتاب (منهاج الوصول) للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ): «اعلم أن المصنف أخذ كتابه

من الحاصل للفاضل تاج الدين الأرموي، والحاصل أخذه مصنفه من المحصول للإمام فخر الدين، والمحصول استمداده من كتابين لا يكاد يخرج عنهما غالباً؛ أحدهما: المستصفى لحجة الإسلام الغزالي، والثاني: المعتمد لأبي الحسين البصري؛ حتى رأيته ينقل منهما الصفحة أو قريباً منها بلفظها، وسببها -كما قيل- أنه كان يحفظهما...»[١].

○ **إن الناظر في الكتب العمد على امتداد تاريخ الإسلام، التي اشتهرت بين الناس، يجد أن الشروح والحواشي والتعليقات عليها من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها، وسوف اذكر أمثلة على ذلك:**

- أحصى الحافظ ابن حجر (٧٧٣-٨٥٢) الشروح التي على (الجامع الصحيح) للإمام البخاري (١٩٤-٢٥٦) فذكر أنها أكثر من ثلاثمائة شرحاً، وهذه غير الشروح التي لم يقف عليها، أو ما كانت بعد زمنه[٢].

- حفل تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي (٥٧٢-٦٨٥) بشروح وحواشٍ وتعاليق كثيرة جداً حتى فاقت المائة، بالإضافة إلى الحواشي القلمية التي توجد في النسخ القديمة على تفسير البيضاوي[٣].

---

(١) شرح منهاج الوصول (١/٤).

(٢) انظر تسمية تلك الشروح في كشف الظنون (١/٥٤٢).

(٣) انظر تسمية تلك الشروح في المصدر السابق (١/١٨٦).

• (التنبيه في فروع الشافعية) لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي (٣٩٣-٤٧٦) فقد اعتنى به الشافعية أتم عناية، من شرح، وتعليق، وتنكيت، وتخريج لأحاديثه، ونظم لألفاظه، وشرح لغريبة؛ حتى بلغت العشرات..[١].

• (تلخيص المفتاح في البلاغة) للجلال القزويني (٦٦٦-٧٣٩) فإنه حظي باهتمام بليغ من لدن علماء العربية شرحاً وتحشية وتعليقاً ونظماً، ذكر كثيراً منها حاجي خليفة (١٠١٧-١٠٦٧) في كتابه الماتع (كشف الظنون)[٢].

• وهناك من الكتب من لم تخص بتعاليق مدونة؛ غير أنها لم تخلو من روايات شفوية صاحبت تلك المدونات، تناقلها العلماء من لدن مؤلفيها ومن بعدهم... وهي تعتبر إضافات لتلك المؤلفات؛ إما لكون المؤلف لم يتفطن لها حين التأليف، أو عنت له أثناء الدرس، أو لم ير مصلحة في ذكرها، أو غير ذلك من الأسباب..

إن هذه الروايات الشفوية التي تحظى بها الكتب المشهورة - وإن كان يوجد من الكتب ما هو أفضل منها - زادت من أهميتها لدى القراء والتلاميذ، إذ يقرؤونها على أشياخهم

(١) انظر تسمية تلك الشروح في المصدر السابق (٤٨٩/١).
(٢) (٤٧٢/١).

فيستفيدون منهم تلك الروايات، وقد تجمع بعد حين مفردة، أو في كتب التلاميذ والأتباع، ومن ذلك أن الشريف الجرجاني (٧٤٠-٨١٦) ذكر في حاشيته المشهورة على المطول في البلاغة أنها كانت تعليقات يذكرها للطلبة في شرحه لكتاب (المطول) ثم نزل عند رغبتهم في كتابتها بشكل أوسع.

وهذا ابن أمير حاج (٨٢٥-٨٧٩) يشرح كتاب شيخه الكمال ابن الهمام (٧٩٠-٨٦١) (التحرير في أصول الفقه) مستفيداً من إشارات شيخه أثناء قراءته عليه[(١)].

والملاحظ أن الذي يترك الروايات الشفوية صفحاً، و يترك الأخذ عن الأشياخ بتاتاً قد يقع في فهوم خاطئة لم يردها المؤلف، ولذا نجد أن الحافظ ابن حجر (٧٧٣-٨٥٢) أخذ على شرح الكرماني محمد بن يوسف (٧١٧-٧٨٦) لصحيح البخاري أواهم في النقل، وعلل ذلك بأنه لم يأخذ إلا من الصحف[(٢)].

○ **أدوات الاختبار التي من خلالها يعرف القارئ مدى فهمه للكتاب عديدة من أهمها ما يأتي:**

• أن يحاول القارئ أن يأتي بأمثلة وملاحظات على القواعد والأفكار و الملاحظات التي يثيرها الكاتب، وليكن هذا من

---

(١) انظر: التقرير والتحبير في شرح التحرير (١/٢)، وهنا فائدة يحسن إيرادها وهو أن ابن الحاج هذا شخص آخر غير ابن الحاج المالكي صاحب (المدخل).

(٢) انظر: الدرر الكامنة (٤/٣١٠)، كشف الظنون (١/٥٤٦).

عند نفسه، وبهذا يختبر القارئ تفكيره وفهمه لما قرأه، ويطبق ما يجد ويحدث عليها.

- محاولة تلخيص ما قرأه في عبارات وفِقر محددة بأسلوبه الخاص، وهذا أجدى ما لو حفظها دون وعي وتفكير؛ ولذا تجد هذا النوع من القراء يقلب الكلام حسب ما يريد، وهو غير ملزم بعبارات الكتاب وألفاظه، بل قد يزيد في معانيه ويصبغها بزاهي أفكاره، أما ذلك القارئ الذي لم يفهم ما طالعه فلا يمكن له تجاوز ألفاظ الكتاب، فهو مربوط بها لا يمكن أن ينفك عنها، ثم قد يطويها النسيان بعد حين من الزمن.

- إن من الأهمية بمكان معرفة الفكرة أو الأفكار التي بنى المؤلف عليها كتابه، وأقام سوقه عليها، ثم بعد ذلك معرفة الأفكار والمسائل الفرعية المتسلسلة منها، غير أن في التعرف عليها كبير جهد لا بد أن يتحمله القارئ؛ وإذا تم هذا التصور بجلاء تام، وربط بينها برابط رفيع؛ فإن على القارئ بعده أن يطرح سؤالين هامين، وبهما يتلخص الكتاب الذي قرأه:

- **السؤال الأول: ما المسائل التي أبدع المؤلف في حلها وبيانها**، وينظم هذا السؤال ناحيتين هما:

✓ مدى نضج الرؤى والأفكار التي قدمها بالمقارنة مع غيرها، وهو أمر نسبي.

✓ كيف تم للمؤلف هذا الإبداع، ويكون هذا عن طريق سبر الخطوات التي قادته نحو الهدف وأوصلت عمله للنجاح، وتكمن معرفة هذه في الاستفادة منها في توصيف المسائل الأخرى وحلها.

وخلاصته أنه سؤال ينصرف إلى كيف نجح المؤلف في كتابه هذا، ما الذي أوصله إلى النجاح؟ وهو سؤال عميق والإجابة عنه ليست باليسيرة، فقد نتعرف على الحل نفسه، وتبقى طريقة الحل شائكة.

ثم إنه قد يدُرُّ الكتاب على قارئه أفكاراً وخواطر لم تكن على باله قبل القراءة، قال العقاد(١٣٠٦-١٣٨٣): «إننا نقدر الكتاب بما يوحيه لا بما يدل عليه حروفه ومعانيه، وإن القارئ وهو يتلو الكتاب قد يؤلف في ذهنه كتاباً غير الذي يقرأه، ويفهم فيه معان غير ما أراد مؤلفه، ولكنه يحسب أنه يقرأ كتاب المؤلف وينسب الفضل إليه»[١].

- السؤال الثاني: ما المسائل التي أخفق المؤلف في معالجتها سواء كان الإخفاق في:

✓ توصيف الفكرة أو المسألة.

✓ التدليل عليها.

---

(١) الفصول (ص٢٩٢).

✓ إيجاد الحل السليم لها.

✓ إغفال فروع متعلقة بأصل المسألة.

إذا وضع القارئ أصبعه على الخلل فهذا نصف الحل، وحينئذ يقلب الرأي فيها، فإن تمكن من حلها وفهما وإلا جعلها في ذهنه ماثلة تروم الإجابة والحل .. وقد يستفيد زيادة التأمل في عروض[١] الكتاب وأفكاره وبثها من خلال:

✓ نشر هذه المسائل والأفكار في المجاميع العامة التي تضم نُخَب القرَّاء ومثقفيها.

✓ المباحثة والمناظرة في أفكار الكتاب وعروضه العامة، خاصة مع المخالفين في الرأي.... وهذا يثمر المعرفة الكاملة للكتاب، قد يكون القارئ عن بعضها غفلاً، ومن المعلوم أن فائدة المناظرة أقوى من فائدة مجرد التكَرار؛ لأن فيها تكراراً وزيادة، ولذا قيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، وإنما تفقه أبو حنيفة (٨٠-١٥٠) رحمه الله تعالى - كما ذكروا - بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكانه؛ حين كان بزَّازاً[٢].



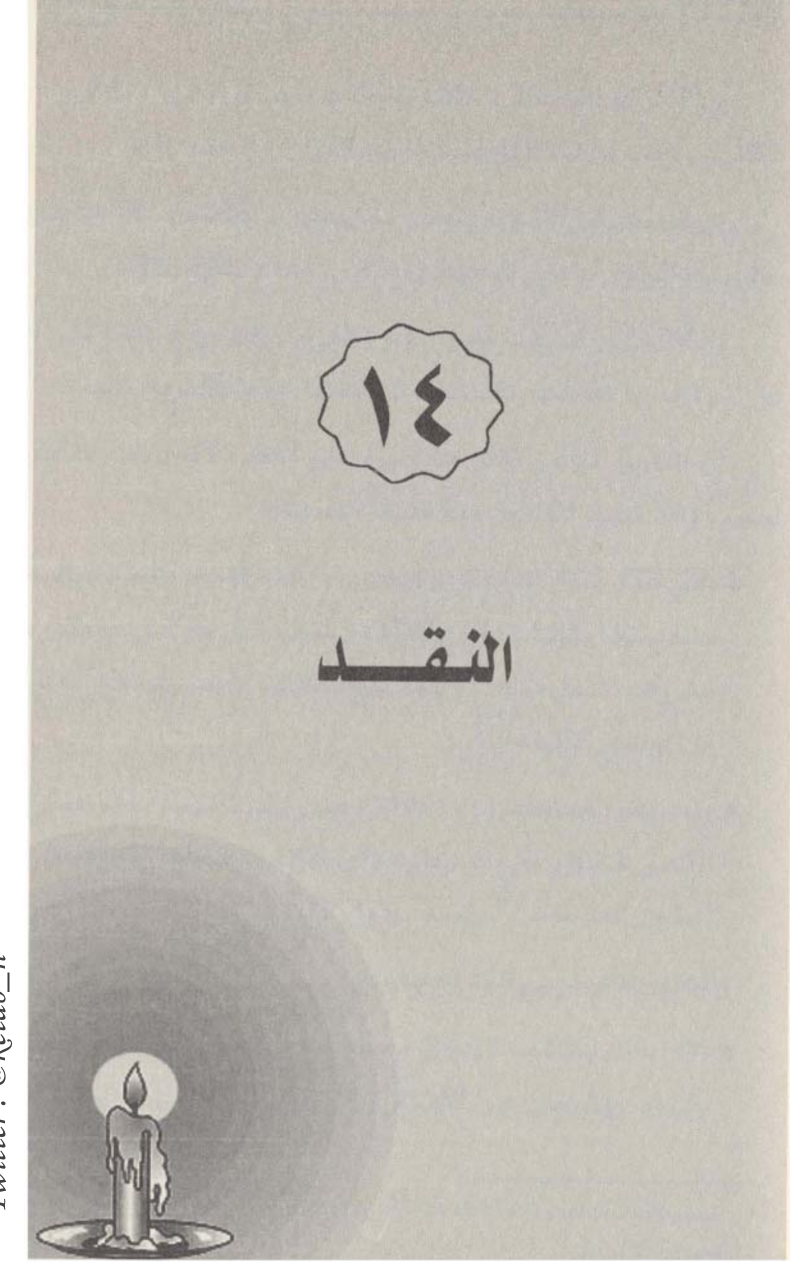
(١) عروضه: فحواه.

(٢) انظر: تعليم المتعلم للزرنوجي (ص٣٥و٣٧).

بيعت كتب الجواليقي (٤٦٦-٥٤٠) في بغداد، فحضرها الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني (٤٨٨-٥٦٩) فنادوا على قطعة منها: ستين ديناراً، فاشتراها الحافظ أبو العلاء، والإنظار من يوم الخميس إلى يوم الخميس، ثم استقبل طريق همدان فوصلها فنادى على دار له فبلغت ستين ديناراً، فقال: بيعوا، قالوا: تبلغ أكثر من ذلك، قال: بيعوا، فباعوا، وقبض الثمن، ثم رجع إلى بغداد، فدخلها يوم الخميس فوفى ثمن الكتب.

ذيل الطبقات (٣٢٨/١)





١٤

النقـــد

إن القراءة الفعَّالة لا تقف فقط عند عملية فهم ما يقوله الكاتب، ويجب أن تُستكمل بعملية نقد الكتاب والحكم عليه.

إن البعض من القراء يتحلى بالتسليم و التقليد لكل ما هو مكتوب، والوثوق به دون تمحيص وتدقيق، وهذه نظرة بدائية.

وفئة أخرى صرفت همها نحو الثغرات والهفوات فيما تقرأ، فإن لم تجدها تَمَحَّلت وتكلَّفت العثور عليها، وكلا الأمرين ذميم.

إن القارئ الواعي أقدر من غيره على النقد؛ لأنه ناقد والناقد بصير، ولذا تهيب المؤلفون منه قديماً وحديثاً:

- وفي هذا يقول جعفر بن يحيى (١٥٠-١٨٧): «اتخذ كاتباً متصفحاً للكتاب؛ فإن المؤلف للكتاب تنازعه أمور وتعتوره صروف تشغل قلبه.. والمتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من مبتدي تأليفه»[١].
- وتخوف الجاحظ (١٥٠-٢٥٥) ممن يقرأ كتابه وهو فارغ الذهن فقال: «مع عرضه (أي المؤلف) عقله المكدود على العقول الفارغة»[٢] يقصد عقول القرَّاء.

○ **والنقد الذي نرمي إليه له جانبان:**

- **الأول:** أن يكتشف القارئ مساحات الجمال في النص الذي يقرؤه، ويقبض على الأفكار والإضافات والنقاط الجديدة

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (١/١١) .
(٢) الحيوان (١/١٠) .

التي تمكن الكاتب من شرحها على نحو ممتاز، ولمس هذا كثيراً ما يكون أشق من معرفة الأخطاء[١].

- **الثاني**: أن يذكر القارئ الملاحظات والأخطاء على الكتاب، وأن يضع يده على تلك الأفكار والكليات التي أخطأ الكاتب في عرضها أو توصيفها أو الحكم فيها وسوى ذلك...

والنقد إنما يقوم على هذين الجانبين؛ كما يقع (نقد الرجال) عند المحدثين على ضربين اثنين: الجرح والتعديل، وإن كان أكثر القراء يعتني بالثاني دون الأول مع أنه هو الذي دفعنا نحو الكتاب وهو الأصل في اختيار الكتب.

○ **لكن لا بد لمن ينقد الكتاب أن يتحلى بالآداب التالية:**

- لا يكون ديدن القارئ النقد والإكثار منه -خاصة في أول أمره- حتى لا يستقيم له علم، ولا يقام له بناء ولا تثبت له حجة؛ وهذا مزلة قد يقع فيها كثير من الشداة، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): «وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي إلى الاختلافات المشككة والشبه الملتبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده؛ لئلا تتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي به إلى الارتداد...»[٢].

---

(١) انظر: القراءة المثمرة د/ عبدالكريم بكار (ص٧٩) .

(٢) الذريعة (ص٢٤٢) .

ولما كان ابن القيم (٦٩١-٧٥١) يورد على شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٦) إيراداً بعد إيراد فقال له الشيخ: «لا تجعل قلبك للإيردات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات أو كما قال، قال ابن القيم: «فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك»[1].

- لا تبدأ بنقد الكتاب حتى تفهمه، وتستكمل تفسير الكتاب؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

إن قراءة عنوان الكتاب أو ورقيات منه ليس كافياً في معرفة محتوى الكتاب فضلاً عن نقده والحكم عليه، ونخشى أن يكون منا من أساء قراءة فأساء نقداً؛ كحال من «أساء سمعاً فأساء جَابَةً»[2].

تجد بعض المتحاورين عن كتاب ما، أحدهما يلبسه حلل الثناء والإطراء، وتجد الآخر ينقده بشكل حاد وقاس، وأحدهما لم يأت على مأخذه بدليل، وهذا يستشف منه أن كلا القراءتين

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٤٠).

(٢) معجم الأمثال للميداني (١/٤٢٠)، معجم الأدباء لياقوت (١/٢٤٩) و(جابة) بمعنى إجابة.

انطباعية مسبوقة الحكم، أو ربما أنها لم تتجاوز ورقيات قلائل عاد أحدهما بالثناء والآخر بالانقباض.

- لا بد أن يكون النقد قائماً على معايير وأسس موضوعية؛ فيكون محدداً مفصلاً معللاً، وهو ما يعرف بالنقد المحايد.
- لا يكون النقد بشكل حاد، ومشاكس دون تدليل وتعليل، ولا بد من عرض الأسباب المقنعة لأي حكم نقدي تتقدم به.

إن الصراخ ورفع الصوت ليس دليلاً على صحة مأخذ صاحبه، والنقد الحاد قد يعمي صاحبه عن الحق الذي في الكتاب، وتجد بعض القراء حينما ينقد كتاباً - وإن كان محقاً - ربما بالغ وحط على مؤلفه، وسلح عليه أوصافاً شائنة، كان من الأفضل تجنبها.

إنه لا يخلو كتاب من فائدة كما قال ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧)[١]، وأقلها الصبر على قراءة الكتب الرديئة، وتَحمُّل غثاثتها فيستفيد منها صبراً ومثابرة؛ و«ليس هناك كتاب بلغ درجة من السوء بحيث لا يمكنك أن تتعلم منه شيئاً بشكل من الأشكال»[٢].

وقد أحسن من قال:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

(١) صيد الخاطر (ص ٥١٤).
(٢) مقتطفات في الكتب والقراءة د/كامل العسلي (ص٢٤٨).

• لا ينبغي تغليب النوايا المفترضة سلفاً على المؤلف؛ لأن هذا يقلل من قيمة الكتاب الذي بين يدي القارئ، ويجعله يقرأه على نحو تلك النوايا والتصورات، مع أن المفترض أن يكون على ضوء المعلومات والأفكار التي يقدمها الكتاب لا غير؛ لأن قيمة الكتاب إنما تعرف بما يحمله من آراء وأفكار، فقد يُجَوِّدُ من لم يُعرف بالتجويد، ويَنْحَدِرُ من عرف بالإتقان والإحكام.

والحكم على الكتاب بمعزل عن المؤلف داء قديم، فقد قالوا: (المعاصرة حجاب) حيث يحجب الرؤية الصحيحة والحكم الرشيد، وقد اشتكى فئام من المؤلفين ذلك ومنهم الجاحظ (١٥٠-٢٥٥) فقد قال: «ربما ألف الكتاب المحكم المتقن... وأنسبه لنفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته... وربما أَلَّفْتُ الكتاب الذي دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيري، وأحيله على من تقدمني عصره، مثل: ابن المقفع والخليل... فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته علي..»[١].

وقال المازني (١٣٠٨-١٣٦٨): «كتابك يا معاصري بديع رائع، أعترف بذلك ولا أنكره؛ ولكن أنفك الضخم يجعل شكلك مرذولاً أو مضحكاً (!!) فتقل روعة آرائك وحسنها..»[٢].

---

(١) المحاسن والأضداد (ص٢).

(٢) حصاد الهشيم (ص١٩٢).

ومن نصائح ابن حزم الظاهري (٣٨٤ -٤٥٦): «إذا ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب فإياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المبالغة قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع؛ وأيضاً فلا تقبل عليه إقبال المصدق به المستحسن إياه قبل علمك بصحته ببرهان قاطع، فتظلم في كلا الوجهين نفسك، وتبعد عن إدراك الحقيقة؛ ولكن أقبل عليه إقبال سالم القلب عن النزوع منه والنزوع إليه..»[١].

○ مفاتيح النقد:

ويمكن أن يكون النقد من خلال ما يأتي:

- أن يُظْهِر القارئ أن الكتاب قد حوى إطناباً ومبالغة، ويكون هذا عن طريق الفحص الدقيق لمحتوى الكتاب ألفاظاً ومعانٍ، ولا بد من التنبه إلى أن الإطناب والإسهاب يختلف باختلاف غرض الكتاب وموضوعه ... فالكتب الدائرة تحت ما يسمى بـ (المطولات) لا بد أن يكون فيها إسهاباً بقدر المرسوم لها، مع أن الكلمة والكلمتين من غير معنى خاص بها في (المختصرات) تعد حشواً وتطويلاً.

ومن الأفضل أيضاً أن يعرف القارئ عادة المؤلفين في الإطناب والإسهاب وعدمه، فمن المؤلفين من عرف بالإسهاب،

(١) مداواة النفوس (ص١٨٣).

وقديماً اشتهرت أسماء كشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٦)، وابن القيم (٦٩١-٧٥١)، والجاحظ (١٥٠-٢٥٥)، وابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) وسواهم.

ومنهم من عرف بالاختصار وهم كثير من السلف وقليل من الخلف، ومن الأسماء أيضاً: الكيا الهرَّاسي (٤٥٠-٥٠٤) في (أحكام القرآن)، وابن مفلح (٧٠٨-٧٦٣) خاصة في كتابه (الفروع).

ومن أعجب ما وقفت عليه من الاستطراد الذي يصل إلى حد لا يتحمل ما ذكره ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥) في ترجمة (عبدالرحمن بن قدامة) (٥٩٧-٦٨٢) قال: «وقد جمع المحدث إسماعيل بن الخباز ترجمته وأخباره في مائة وخمسين جزءاً، وبالغ، وبقي كلما أثنى عليه بنعت من الفقه أو الزهد أو التواضع، سرد ما ورد في ذلك بأسانيده الطويلة الثقيلة، ثم تحول إلى ذكر شيوخه فترجمهم، ثم إلى ذكر الإمام أحمد، فأورد سيرته ومحنته كلها؛ كما أوردها ابن الجوزي، ثم أورد السيرة النبوية؛ لكونه من أمة النبي ﷺ ...»[(١)].

- أن يظهر أن المؤلف ليس لديه معرفة كافية في الموضوع، وأن معلوماته الضرورية قاصرة؛ مما يؤثر على حل المشكلة الرئيسة التي بُني الكتاب عليها، وهذا الخلل وحده كافٍ في نقد الكتاب وعيبه، وهذه المعرفة القاصرة تظهر في:

(١) ذيل الطبقات (٢/٣٠٤).

- تصور المسائل على حقيقتها، فإن بعض المؤلفين قد يكون عنده خلل في تصويرها، وهذا - بلا شك - له أثر في بناء الأحكام على وجه السداد، لاسيما في الدراسات الوصفية، ومن هذا النقد قول ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥) عن كتاب يحيى الأرجي (ت بعد ٦٠٠هـ) (نهاية المطلب): «وفيه تهافت كثير... يدل على أنه لم يتصور هذه الفروع ولم يفهما بالكلية...»[١].

- وتظهر أيضاً في الحكم عن المسائل والقضايا حيث قد يقع الشطط فيها، وإغفال جوانب من الحكم لم ينظر إليها، ومن هذا الباب أن يوجه التفسير على أفراد المسائل أو الأفكار ويفصل متعلقاتها ونظائرها، وهذا يوجب الخلل في الحكم أو التصوير أو قصور التفسير لها، وهذا نحو إغفال سبب ورود الحكم، أو تفسير البيت بمعزل عن أبيات القصيدة الأخرى، وفي هذا الصدد يقول ابن السيد البطَلْيوسي (٤٤٤-٥٢١): «فإنا رأينا كثيراً من المفسرين للأبيات المستشهد بها قد غلطوا في معانيها، حين لم يعملوا الأشعار التي وقعت فيها؛ لأن البيت إذا انفرد احتمل تأويلات كثيرة...»[٢].

- أن يظهر أن المؤلف لديه معرفة مغلوطة؛ سواء في التصور أو في الحكم، وفيما له أثر في علاج وحل المسألة، وهذا قد

---

(١) المصدر السابق (٢/١٢٠) .

(٢) الاقتضاب شرح أدب الكتاب (٢/٤٠٥) .

يكون ناتجاً عن إساءة الفهم في القضية التي بحثها أو عدم الروية فيها، أو جهله في اصطلاحات العلماء وعادتهم التي كتب الكتاب من خلالها.

• أن يظهـر أن المؤلف ناقص في تحليله؛ حيث أهمل بعض المسائل المتصلة في بحثه فلم يتعرض لها، أو أنه لم يستوف في جمعه، أو أن استقراءه ناقص في تأسيس القواعد.

وحينئذ يقوم القارئ باستدارك ما فات المؤلف إن أمكن هذا، وإلا أورد أمثلة ليدلل على أن جمعه ناقص وغير تام، فإن لم يجد من ذلك شيئاً فله أن يثير الشك في القواعد التي بناها الكاتب على الاستقراء بإيراد نظائر لها مع اختلاف الحكم فيها، وحينئذ فإن القاعدة قد تتصدع؛ حيث إن الاستقراء الذي به تؤسس القواعد العلمية لا بد أن يكون تاماً في جميع مسائله... ويمكن أن يذكر أن فروع المسائل أو ثمراتها لم تحكم أصولها، وحينئذ يرتد هذا على الفروع والثمرات بالإبطال.

• أن يظهر أن المؤلف ليس منطقياً؛ وذلك في بناء الأسباب على مسبباتها، والعلل على مُعَلِّها، وكذا الاختلاف بين المقدمات والنتيجة، أو أن يكون قياساً مع الفارق أو فاسد الاعتبار... وسوى ذلك مما يذكره الأصوليون في قوادح الأدلة.

• بإمكان القارئ أن يقول في نقده: إن بعض المعلومات التي نقلها الكاتب كانت من غيره، وهذا النقد موجه إلى الأمانة

العلمية لدى المؤلف، وهو مادة خصبة قد توجه للكتَّاب، ومنه ما يكون من توارد الخواطر ووقع الحافر على الحافر.

ومن أمثلة هذا النقد نقد الحافظ ابن حجر (٧٧٣-٨٥٢) لكتاب (عقد الجمان) للبدر العيني (٧٦٢-٨٥٥) فقد قال فيه: «وذكر أن الحافظ عماد الدين ابن كثير عمدته في تاريخه وهو كما قال، لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق؛ حتى يكاد يكتب منه الورقة الكاملة متوالية، وربما قلَّده فيما يهِم فيه حتى في اللحن الظاهر... وأعجب منه أن ابن دقماق يذكر في بعض الحادثات ما يدل على أنه شاهدها فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه، وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعيد..»[(١)].

• أن يذكر القارئ أن المؤلف لم يأت ببراهين وحجج مقنعة على ما يدعيه؛ حيث إن المؤلف قد يذكر أحكاماً ويورد شرائط معراة من الدليل، ومغفلة من العلل والبراهين؛ والكلام المرسل دون حجة لا يقبل، لذا يتوجب على القارئ أحد أمرين:

إما إن كان يذهب مذهب المؤلف فعليه أن يثبت هذه الأحكام أو الشرائط بناءً على أدلة يستدل بها.

و إن كان مخالفاً له فهذا يتطلب منه إثبات مخالفته بالحجة والدليل.

---

(١) إنباء الغمر (٤/١).

- قد ينقل المؤلف من غيره، لكن يخطـأ في توظيف كلامه، أو يجعله في المكان الغلط، أو يُحمِّله ما لا يتحمله، أو يتبعه كلاماً من كلامه ينافي المنقول... أو قد يرى القارئ أن المؤلف أحسن أيما إحسان فيما نقل، وبرع في جمعها وتصنيفها، لكن كلامه في الموازنة والترجيح لم يحالف الصواب.

○ **ومما يرفع من كفاءة القارئ النقدية:**

- أن يعمد إلى كتاب فيقرأه قراءة واعية ناقدة تتلمس مواطن الحسن و الكمال، وتقع على مواطن القصور والخلل، ومن ثم تقييد ذلك إما على جزازات ورقية خارجية، وإما في طُرَّةِ الكتاب أو في ثناياه، ثم يقدم الكتاب ومعه تلك الملاحظات والفوائد إلى من هو أوسع منه فكراً و اطلاعاً، وحين ذاك ينظر في تلك المحاكمة العقلية ويوجهه إلى مواقع الزلل ومنابع الكمال حتى يرقى بذوقه وقراءته نحو الأمام.

- القارئ الجيد هو ذلك الناقد البصير، الذي ما يفتأ يلاحظ على الكتاب، مسطراً تلك الملاحظات في طرة الكتاب أو في ثناياه؛ وفي هذا حفزاً لذهنه، وبياناً صادقاً لمن يقرأ الكتاب من بعده، ومن هذه البابة ما تحفل به المكتبات الإسلامية من تعقبات وتنبيهات على الأغلاط الواقعة في الكتب قد يكون بعضاً منها سار على هذا المسار ونسج على هذا المنوال.



«لا يعلم، ولا يجمع العلم، ولا يختلف إليه، حتى يكون الإنفاق عليه من ماله، ألذَّ عنده من الإنفاق من مال عدوِّه، ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب، ألذَّ عنده من إنفاق عشَّاق القيان، والمستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً؛ وليس ينتفع بإنفاقه، حتى يؤثر اتَّخاذ الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله، وحتى يؤمِّل في العلم ما يؤمِّل الأعرابي في فرسه».

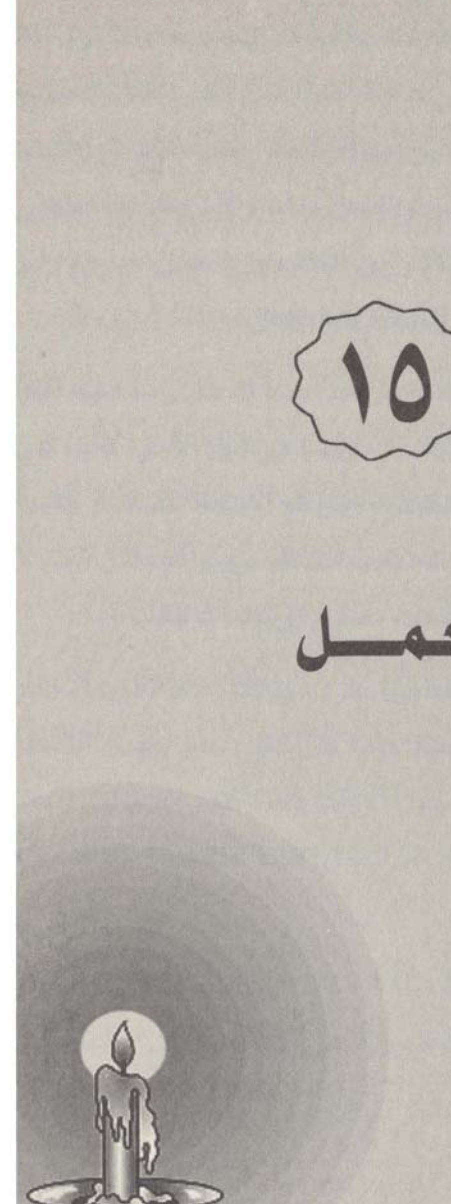
الجاحظ (١٥٠-٢٥٥)

الحيوان (٢/٥٥)



١٥

العمـــل



📖 لا يخفى أهمية العمل في الإسلام ومنزلته فيه، «ألا ترى أنه ما أُخلي ذكر الإيمان في عامة القرآن من ذكر العمل الصالح نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ (الكهف: ١٠٧)... وقيل: العلم رأس والعمل بناء، والأس بلا بناء باطل، وقال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل: «يا هذا إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فما تقاتل به !!»[(١)].

○ ويجب أن لا يتعرى علمه من مراعاة العمل وما فيه نفع، والاعتناء بالكتب العملية، لا سيما في أول الأمر؛ لأنها هي عماد الحياة ومناط التكليف، ومن ثم الابتعاد قليلاً أو كثيراً عن الكتب التي تعنى بالجانب التنظيري والجدلي التي لا يتبعها عمل، وإنما هي تحت مسمى (رياضات عقلية).

○ تنمية روح العمل والتطبيق في حياتنا، فلا تكون الأفكار والعلم مجرد ترف وتخمة؛ ولذا كان كثير ممن يمتهن الثقافة من أقل الناس عملاً وجهداً، وإنما يلجأ كثير منهم إلى النقد والتنظير بعيداً عن أجواء العمل؛ فإذا اختبروا بجانب منه فشلوا فشلاً ذريعاً.

ومن نصائح ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) للكاتب قوله: «ويمتحن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر؛ فإن المُخبر ليس كالمعاين»[(٢)].

---

(١) الذريعة للراغب (ص٢٣٨).

(٢) أدب الكاتب (ص١٥).

«إن الثقافة إذا ظلت محفوظة لدى قلة بمعزل عن حركة المجتمع؛ فإنها لا تغنيه ولا يغنيها، بل تبقى كأحجار كريمة في جوف قبر يعلوها التراب»[(١)].

وقد أصاب من قال: زيادة القول تحكي النقص في العمل، وقال أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩) في لزومياته[(٢)]:

إذا كثر الناس شاع الفساد   كما فسُد القول لما كثر

ومن لطيف ما يذكر قول الأصْمَعي (ت ٢١٥ هـ): «دخلت أنا وأبو عبيدة على الفضل بن الرَّبيع، فقال: يا أصمعيّ كم كتابك في الخيل؟ قلت: جِلْدٌ، فسأل أبا عُبيدة عن ذلك، فقال: خمسون جلداً، فأمر بإحضار الكتابين، وأحضر فرساً، فقال لأبي عُبيدة: اقرأ كتابك حرفاً حرفاً، وضع يدك على موضع موضع، قال: لست ببَيْطَار، إنما هذا شيء أخذته من العرب، فقال لي: قم فضع يدك، فقمت، فحسرت عن ذراعي وساقي، ثم وثبت، فأخذت بأذن الفرس، ثم وضعت يدي على ناصيته، فجعلت أقبض منه بشيءٍ شيءٌ، وأقول: هذا اسمه كذا، وأنشد فيه، حتى بلغت حافره، فأمر لي بالفرس، فكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبت الفرس وأتيته»[(٣)].

---

(١) لماذا نقرأ؟ د/ إسماعيل صبري (ص١٠٦).

(٢) ديوان لزوم مالا يلزم (١/٥١٩).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/١٧٩).

🕮 من ثمرات العمل بالعلم:

○ إتباع القراءة العمل: إن الإحساس بالمردود السريع مما يُشعر القارئ بفائدة قراءته، حيث إنها الثمرة التي من أجلها يقرأ الإنسان وهي محاكاة ما يقرؤه وتطبيقه في واقع حياته، وهذا يظهر جلياً في الأمور العملية كالفقه، والإدارة... وغيرها، فإن تطبيقها والعمل بما أنتجته قراءته هو المقصد الأسمى من تلك القراءة، قال بعض السلف: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به»[١].

○ إن مما يحفظ به العلم تطبيقه والعمل به، قال سفيان الثوري (٩٧-١٦١): «العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»[٢].

وقد لاحظ طائفة من الفقهاء المحققين[٣] ذلك في السنن الواردة على أضرب متعددة، فاختاروا أن كمال الاتباع والاستنان المزاوجة بينها، بحيث تفعل هذه تارة وتلك تارة، وهذا له فوائد منها تذكرها وعدم نسيانها.

🕮 ولتمام العمل يفضل أن يراعي الأمور التالية:

○ من يتعلم ويقرأ أشياء لم تكن دائرة في العمل بكل وجوه العمل، وإنما هي (رياضات عقلية)، فهذه وإن كانت الفائدة

---

(١) روي من كلام الشعبي، وروي من كلام وكيع بن الجراح، انظر: الزهد لوكيع (٣ / ٨٦٢)، جامع بيان العلم وفضله (١ / ٧٠٩).
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (١٢٥/٢) .
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤٨/٢٤) .

منها قليلة؛ لكن قد تفيد في الإدراك العقلي والتكوين الثقافي، ومن ثم الإفادة منها في درك الغوامض والمبهمات التي قد تمر علينا، قال ابن تيمية (٦٦١-٧٢٦): «فإن النظر في العلوم الدقيقة يَفتِق الذهن ويدرِّبه ويقويه على العلم؛ فيصير مثل كثرة الرمي بالنُّشَّاب وركوب الخيل تعين على قوة الرمي والركوب، وإن لم يكن ذلك وقت قتال، وهذا مقصد حسن.

ولهذا كان كثير من علماء السنة يرغب في النظر في العلوم الصادقة الدقيقة؛ كالجبر والمقابلة، وعَوِيص الفرائض والوصايا، والدَّوْرِ؛ لشحذ الذهن فإنه علم صحيح في نفسه؛ ولهذا يسمى (الرياضي)؛ فإن لفظ الرياضة يستعمل في ثلاثة أنواع:

في رياضة الأبدان بالحركة والمشي؛ كما يذكر ذلك الأطباء وغيرهم.

وفي رياضة النفوس بالأخلاق الحسنة المعتدلة والآداب المحمودة.

وفي رياضة الأذهان بمعرفة دقيق العلم والبحث عن الأمور الغامضة»[1].

- إن كان المقروء ينتج عملاً فلا بد من المسارعة في قطف ثماره مباشرة بلا تسويف أو تأخير، وإلا طواها النسيان،

(١) الرد على المنطقيين (ص٢٥٥) وانظر (ص١٣٦) منه.

وصـارت من حديث الذكريات، وهذا كما يكون في الأعمال يكون أيضاً في الاعتقادات والمنطوقات حسب ما يجب فيها.

- قد يكون في علم أساسه التطبيق والعمل؛ لكنه قد يكون في وقت من الأوقات لا يتأتى تطبيقه، لوجود مؤثرات خارجة عن كنهه... فهذا يتعامل معه على أنه حقيقة واقعة فيُدار في القلوب وتَلهج به الألسن.

📖 أظهرت بعض الدراسات أن القارئ يفقد سبعين بالمائة مما قرأ خلال أربع وعشرين ساعة، وإذا كان هذا صحيحاً فإن القارئ يمكن أن يحتفظ بالمهم مما يقرأ إذا واظب على المراجعة والتكرار خاصة في الساعات الأول بعد الانتهاء من قراءته.

ومن المفيد أن تكون مراجعة الفوائد التي كتبها أو العلامات التي رسمها على صفحات كتابه على النحو التالي:

- مراجعة تلك الفوائد وما رسمه من مهمات بعد دقائق من الانتهاء من قراءة الكتاب.
- ثم خلال يوم من قراءة الكتاب.
- ثم بعد أسبوع.
- ثم بعد شهر.
- ثم بعد ستة أشهر.
- ثم يعود إليها بين الفينة والأخرى، حتى يستعيد خطوط الكتاب الرئيسة ويتذكر أصوله.

وقد كان طائفة من القراء يراجع ما خططه على الكتاب في الساعات الميتة كالانتظار أو السفر ونحوها.

ومن السبل المفيدة حصر المهمات في الكتاب؛ كما لو كانت تعريفات، أو شرائط، أو أركان، وحصرها على صورة من الصور الآتية:

- سؤال أو جواب يختصر المهمات.
- ترتيبها على أوائل الحروف، وليس على حسب ما ورد في الكتاب حتى يسهل تذكارها.
- جعل حروفها الأُوَل مجموعة في كلمة منحوتة لفظاً ومعناً.



في عـام ١٨٦٥ م خطرت فكرة على لفـاف السـيـجـار والشـاعـر مـسـاتو رنينو الكوبي وهي إصـدار صـحـيفـة لعـمـال صناعـة السـيـجـار !! لكن سـرعـان مـا أدرك أن الأميـة تقف حجـر عثرة في طـريق انتشار الصـحيفـة، فكان من أمـره أن اتفق مع أحد المدارس الثانوية بتنظيم عـمليـة إرسـال طلبـة يقـرؤون على العـمـال في أمـاكن عـملهم، وتم هذا، ثم تطور إلى تعـيين أحـد العـمـال للقراءة، والعمال يعطون أجرته من أموالهم الخاصة، ثم مـا لبـثت هـذه الطريقـة أن انتشـرت في بقـيـة المصـانع وتنوع المقروء فيها...

آبرتو مانغويل

تاريخ القراءة (ص ١٣٣)



أشـــتات...

📖 هذه نثارات في القراءة مجموعة في أربعة ضوابط:

○ **«إن قراءة كتاب واحد ثلاث مرات غالباً، أنفع من قراءة ثلاث كتب في الموضوع نفسه»**[١].

نظراً لأن في هذا تركيزاً على موضوعات الكتاب ووقوفاً على معانيه بجلاء، وزيادة في التأمل، وما يفوت في القراءة الأولى يعوض في الثانية...

لذا عكف كثير من العلماء على كتب معينة إقراء وتدريساً ومذاكرة، ولهم في ذلك أخبار يطول ذكرها وسوف أذكر لك أمثلة رائدة في هذا:

• قال أبو بكر الأبهري (٢٨٩-٣٧٥) «قرأت مختصر ابن الحكم خمسمائة مرة، والأسدية خمساً وسبعين مرة، والموطأ خمساً وأربعين مرة، ومختصر البرقي سبعين مرة» [٢].

• عبد الله بن إسحاق المعروف بـ (ابن التبان) (ت ٣٧١هـ) درس كتاب (المدونة) ألف مرة[٣].

• إسماعيل بن محمد الفراء الحراني (٦٤٥-٧٢٩): قرأ (المقنع) مائة مرة[٤].

---

(١) انظر: أنا للعقاد (ص٥١)، والفصول له (ص٩٦) .
(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٦/١٨٦) .
(٣) المصدر السابق (٦/٢٤٩) .
(٤) ذيل الطبقات لابن رجب (٢/٤٠٩) .

- عبد الله بن محمد الزريراني (٦٦٨-٧٢٩) طالع المغني ثلاثاً وعشرين مرة [١].

○ **«إذا عزمت قبل القراءة أن تقرأ الكتاب، ثم بدا لك أن لا تفعل لأي سبب كان؛ كما لو رأيت الفائدة قليلة فلا تفعل، وإنما عليك الاستمرار»**؛ وهذا لأمور منها:

- إنه لا يخلو كتاب من فائدة كما قال ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧)[٢].

- إن القارئ قد ينقطع عن القراءة حينما يرى ما يصده عنها، لكن إذا دلف في ثنايا الكتاب وجد ما يحثه على الاستمرار فيها؛ نظراً لأن المؤلف لم يعتنِ كثيراً في أوائله، أو لم ينشط لمسائله إلا بعد انتصافه... فإن هو ألقى الكتاب من أول وهلة كان هذا خسارة عليه.

- إن في الاستمرار في قراءة الكتاب تربية للنفس على الصبر وإيفاء بالوعد.

- حَذَّرَ العلماء من التنقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب؛ لأن ذلك علامة على الضجر وعدم الفلاح [٣].

(١) المصدر السابق (٢/٤١١).

(٢) صيد الخاطر (ص ٥١٤).

(٣) انظر: تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ص١١٩)، كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٤٣).

لكن لو كان الإنسان قبل القراءة قد نوى قراءة فصل من كتاب أو جزء منه، فلا ضير في ذلك؛ لأنه ربما يكون له غرض في ذلك الجزء، أو ذلك الفصل.

○ **«إذا قرأت كتاباً فلا تفكر في العودة إليه مرة أخرى»**(١).

لأن هذا الشعور سيؤدي بك إلى التفريط في فوائد كثيرة، أملاً في استيفائها في القراءة الثانية، وقد لا تعود لصارف من الصّوارف، أو ينتابك الكسل، أو تفوت تلك الفوائد؛ لأنها لم تكن على بالك في القراءة الثانية.

○ **«تحري كتب المتقدمين من أهل العلم في الفنون المختلفة»**.

ونقصد بذلك الكتب المؤلفة في ضروب من العلم إذا كانت أصولها ومسائلها قد اُعتني بها في زمن متقدم فإن الاهتمام بها أولى، وتقديمها على ما تأخر عنها أحرى؛ : «وأصل ذلك التجربة والخبر....» كما قال الشاطبي (ت٧٩٠هـ)(٢)، وتفضيل هذا من عدة جوانب:

- أنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين.
- خلوها من التعقيدات التي تلف كثيراً من كتب المتأخرين.
- قلة الأخطاء والتصحيفات؛ لأن العلماء قد تعاقبوا عليها بالتصحيح والنقد والزيادة والشرح.

---

(١) المشوق إلى القراءة للعمران (ص٨٩)، المدخل لابن بدران (ص٤٨٨) .

(٢) الموافقات (١/ ١٤٨) .

وليس معنى هذا أن نضرب صفحاً عن كتب المتأخرين - خاصة في العلوم التي اعتنوا فيها كثيراً، أو كانت وليدة عصرهم - فإن من المهم الاطلاع عليها والنظر فيها.



«إن الحظ لمن آثر العلم، وعرف فضله أن يسهله جهده ويقربه طاقته، ويحفظه ما أمكن، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارة، ويدعو إليه في شوارع السابلة، وينادي عليه في مجامع السيارة، بل لو تيسر له أن يهب المال لطلابه، ويجزي الأجور لمقتنيه، ويعظم الأجعال عليه للباحثين عنه... لكان ذلك حظاً جزيلاً وعملاً جيداً وسعياً مشكوراً».

ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦)

التقريب لحد المنطق



آفات...

📖 هناك آفات تصيب بعضاً من مدمني القراءة والعاشقين لها تقلل من الفائدة التي تجنى من القراءة وهي كثيرة، ومنها:

○ **الكبر والاستعلاء والعجب:**

من مظاهر هذه الآفة التي قد تصيب القارئ على نظرائه من القراء والناس عموماً:

- التقليل من شأن الأشخاص، ومن كتبهم وكتاباتهم.
- تفخيم العبارات وتزويق الكلمات، وظهور الأنا، والعجب بما يذيعه من آراء ومقولات.
- تخطئة الكبار، والاستطالة على العلماء.
- الهجوم على المسائل العظام، على غير وجه الصواب، دون علم مقنع ولا أدب يردع، بل قد يصل به الحال إلى نسف العلوم، وإعادة تكوينها من جديد، أو صياغتها وتجديدها.

بل قد نجد من القراء من يلهج ويكتب بآراءٍ مَشُوَّبَة، وخواطر لم تتخمر، وفروع لم يؤسس لها أصول، وتجديد لا يعتمد على أساس وفهم لما أريد تجديده، وإنما هي آراء عارية عن الدلائل، ومغفلة عن الأسس الصحيحة.

كل هذا وغيره من العجب بالرأي الذي لا يفيد القارئ ولا العلم شيئاً، بل يجعل المتعلمين والقرَّاء في عَماء وظلام

وتخبط؛ لأن العلوم لا تقام إلا على قواعد مؤسسة، وضوابط مُعللة، وبها يتم نمو العلوم وتستقيم على سوقها.

«إن من الناس من يولع بالخلاف أبداً، حتى إنه يرى أن أفضل الأمور أن لا يرافق أحداً ولا يجامعه على رأي ولا يواتيه على محبة، ومن كانت هذه عادته فإنه لا يبصر الحق ولا ينصره ولا يعتقده ديناً ومذهباً؛ إنما يتعصب لرأيه وينتقم لنفسه ويسعى في مرضاتها»(١).

ومما يستحسن إيراده هنا قصة عبد الله بن المبارك -الإمام الشهير- (١١٨-١٨١) حينما زار رجلاً من أهل نيسابور - وكان ينسب إلى الزهد والتقشف - فلما دخل إليه لم يقبل عليه الرجل ولم يلتفت إليه، فلما خرج أخبر بمكانه وأعلم أنه عبد الله بن المبارك؛ فخرج إليه يعتذر ويتنصل، وقال: يا أبا عبد الرحمن اعذرني وعظني، قال: نعم؛ إذا خرجت من منزلك فلا يقع بصرك على أحد إلا رأيت أنه خير منك؛ وذلك أنه رآه معجبًا بنفسه، ثم سأل عنه فإذا هو حائك (٢).

(١) العزلة للخطابي (ص٦٩).
(٢) المصدر السابق (ص١٠٣).

○ **الكَزَازَة [1] وسوء الخلق:**

من مظاهر هذه الآفة:

- التعامل السيئ مع الناس، ومجانبة محمود الأدب معهم .
- الحدة في النَّقد والعبارة ، والنَـزَقُ[1] والقسوة في تقويم الناس أو الكتب.

إن منشأ هذه الآفة كسابقتها الانكباب على الكتب والتعامل معها بعيداً عن الناس والاختلاط بهم، فصار القارئ يستسهل المعاملة مع الكتب حيث يجد المتعة والفائدة معها، دون آثار تصيبه، ومن هنا ينشأ الانقباض عن الناس والابتعاد عنهم، ويصاحب هذا جفاء الخُلق وتقطيب الجبين.

إن العلماء والأدباء تمدَّحوا بالكتب والقراءة -كما مر عليك طرف منها- فانجفل أناس كثير إليها - ونعم ما صنعوا- لكن لم ينتبهوا للجوانب السلبية التي قد تصاحب هذا.

وها أنا ذا أسوق لك طرفاً من مقالة أحد كتَّاب العربية يصور حاله حين يجالس الكتب وحاله مع الناس، قال المازني (١٣٠٨-١٣٦٨): «وبحسبي من ذلك أن صارت مجالس الناس وأحاديثهم عندي غثة لا تكاد تساغ ولا تستمرأ، وإني مضطر أن أعالج نفسي لأطيقها وأصبر عليها ولا أقول لأستمتع بها، وليس

(١) الكَزَازَة: الانقباض.
(٢) النَـزَقُ: العجلة في جهل وحمق.

ذلك لعزوف طبيعي عن الناس وكراهة لمخالطتهم ولكنها الكتب قبحها الله (!!!) ردتني كالمترف الذي تؤذيه خشونة العيش!!.

أليس قد عشت بين خير العقول وأحسن النفوس، وألفت أن أتناول عصارة الأذهان وخلاصتها النقية الممحصة... كيف لمن يقضي الشطر الأكبر من أيامه ولياليه بين شعراء الدنيا وكتابها، بإطاقة المستوى الذي لا تكاد ترتفع عنه أحاديث المجالس؟؟ وما للكبر دخل في هذا، ولا للغرور أصبع فيه ولا ظفر، وإنما هي العادة التي يقولون عنها إنها طبيعة ثانية... ومجالسة الكتب... يبعث على التعلق بالمثل العليا، ويشْرِب النفس حبها ويعلمها نشدانها؛ فإذا راح يضرب في غمرة الحياة، ولقي في كل خطوة صدمة...»[1].

إن علاج هذه الآفة لا يكون بترك القراءة والإدمان عليها، بل في تربية النفس على معالم الأخلاق وجميل الخلال.

لقد اعتنى الأوائل بتربية الناشئة على حسن الخلق وبشاشة المحيا، وتربيتهم عليه مع شدوهم للعلم وأخذهم بطرف منه ، قال سفيان الثوري: «من لم يتفتَّ لم يحسن يتقرَّى»، قال الإمام أبو سليمان الخطابي (٣١٧-٣٨٨) معلقاً على هذه العبارة: «إن من عادة الفتيان ومن أخذ بأخذهم بشاشة الوجه، وسَجَاحَة الخُلق ولِين العَريكَة، ومن شيمة الأكثرين من القراء الكَزَازَة وسوء الخلق؛ فمن انتقل من الفتوة إلى القراءة

(١) قبض الريح (ص١٢٥و١٢٩) .

كان جديراً أن يتباقى معه تلك الذوقة والهشاشة، ومن تقرأ في صباه لم يخل من جفوة أو غلظة...»[١].

○ **التشتت في القراءة:**

إن كثيراً من القراء يديم النظر في الكتب، ويقضي ساعات يومه في القراءة، غير أن العوائد التي تجنى منها قليلة... بل قد تجد الواحد منهم لم تؤثر فيه تلك القراءات الكثيرة؛ سواء في بنائه المعرفي أو تكوينه الثقافي، وقد يصدق عليه القول: مكانك سر!

وفي هذا النوع من القراء يقول الكاتب الفرنسي أندريه موروا: «من الناس لهم ولع شديد بالقراءة، يدفعهم إلى التهام كل شيء يقع عليهم بصرهم من الكتب والصحف والمجلات وغيرها؛ فراراً من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال؛ وهؤلاء لا يستفيدون إلا القليل التافه من قراءتهم»[٢].

ويبالغ عادل غضبان (١٣٢٦-١٣٩٢) تشبيه هؤلاء القوم، الذين لا يردون الوقوف على الآراء والأفكار، بل على صفوف الكلمات بمرضى الأفيون، حين لا يلتمس من وراء تدخينه إلا الهرب من عالم الحقيقة إلى عالم الأوهام والأحلام![٣]

---

(١) العزلة للخطابي (ص١٠٣) .
لَيِّنُ العَريكَةِ: سَلِسُ الخُلق. / سَجَاحَة الخُلق: سهولته ولينه .

(٢) مجلة الرسالة، السنة ١٦، عام ١٩٤٨(ص١٣٧٣)، مقال لإيليا حنا بعنوان (عيادة المطالعة).

(٣) انظر: لماذا نقرأ (ص٧٤).

وإذا نظرنا إلى الحل المقترح الذي يحل هذه المشكلة فهو (التخصص) بأن يقضي القارئ معظم قراءاته في فن معين، أو موضوع معين؛ بحيث يكون متخصصاً فيه؛ لأن الاستدامة في قراءة موضوع معين، وتعدد القراءة فيه يجعله يلم بأطراف الموضوع من جميع جوانبه، ويقف على ما تجدد من موضوعاته، وما تفرق من مسائله؛ وقد قيل في وسم العبقرية: إنها القدرة على الاستمرار في اتجاه واحد.

إن من الأهمية بمكان أن تكون عند القارئ رؤية واضحة في تكوينه المعرفي والعلمي، وما يقصد من قراءاته تلك؛ وإلا فإنه لن يكون شيئاً مذكوراً، وعليه أن يتبين من تكوينه الثقافي في قراءاته المتعددة، هل يقصد إلى فن فيتخصص فيه ويتضلع منه، أو أن يأخذ من كل علم بنصيب من غير تخصص؛ وفي هذا الصدد يقول ابن قتيبة (٢١٣- ٢٧٦): «إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم، و إذا أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه»[١].

إنه لا انفصال بين العلم (التخصص) والثقافة (الموسوعية)؛ فإنه يجوز أن يجمع الشخص الواحد بين العلم والثقافة؛ بأن يكون متخصص في مادة، مثقفاً في الجملة وهذا أفضل السبل، وأنجح المناهج.

(١) عيون الأخبار (٢/١٢٩).

إن المتخصص في ناحية من العلم غير أنه مقطوع الصلة بما يخرج عن تخصصه من معارف وعلوم، وما في حركة مجتمعه من حياة خليق بأن ينزوي في جانب، مغلق على نفسه لا يفيد ولا يستفيد.

وجماع الأمر في شأن التخصص أمران:

أحدهما: أن يكون القارئ متخصصاً في نوع من العلوم، تكون معظم القراءة منصبة فيه، وما تبقى من وقت يقضيه في القراءات العامة.

فلو ضربنا مثلاً أن أحداً من القراء يميل إلى الأدب وتحديداً الأدب الأندلسي؛ فإن الأفضل أن تكون جل قراءته وأبحاثه فيه، وهو ما قد يمثل نسبة ٥٠٪، ثم يصرف وقتاً إلى فن الأدب بعامة، وهو ما قد يمثل نسبة ٣٠٪، وما تبقى من الوقت يصرفه إلى الفنون العامة.

ولو أن آخر وجد في نفسه ميلاً إلى فقه المعاملات، فإنه يصرف معظم وقته فيها، ثم إلى الفقه بعامة، ثم إلى جميع الفنون أخيراً.

الثاني: تحديد الغرض الدقيق من التخصص، ونوعه؛ والنظر المستقبلي في الفن الذي تخصصه فيه، هل يغدو فيه باحثاً، أو عالماً، أو سوى ذلك، وكل هذا له أثر في عملية القراءة، وما يتبعها من تقييد الفوائد، وفهرست الموضوعات في ذلك الفن، وما إليها...

لنا ندماء ما نمل حديثهم

أمينون مأمونون غيباً ومشهداً

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى

ورأياً وتأديباً وأمراً مسدداً

بلا علة تخشى ولا خوف ريبة

ولا نتقي منهم بناناً ولا يداً

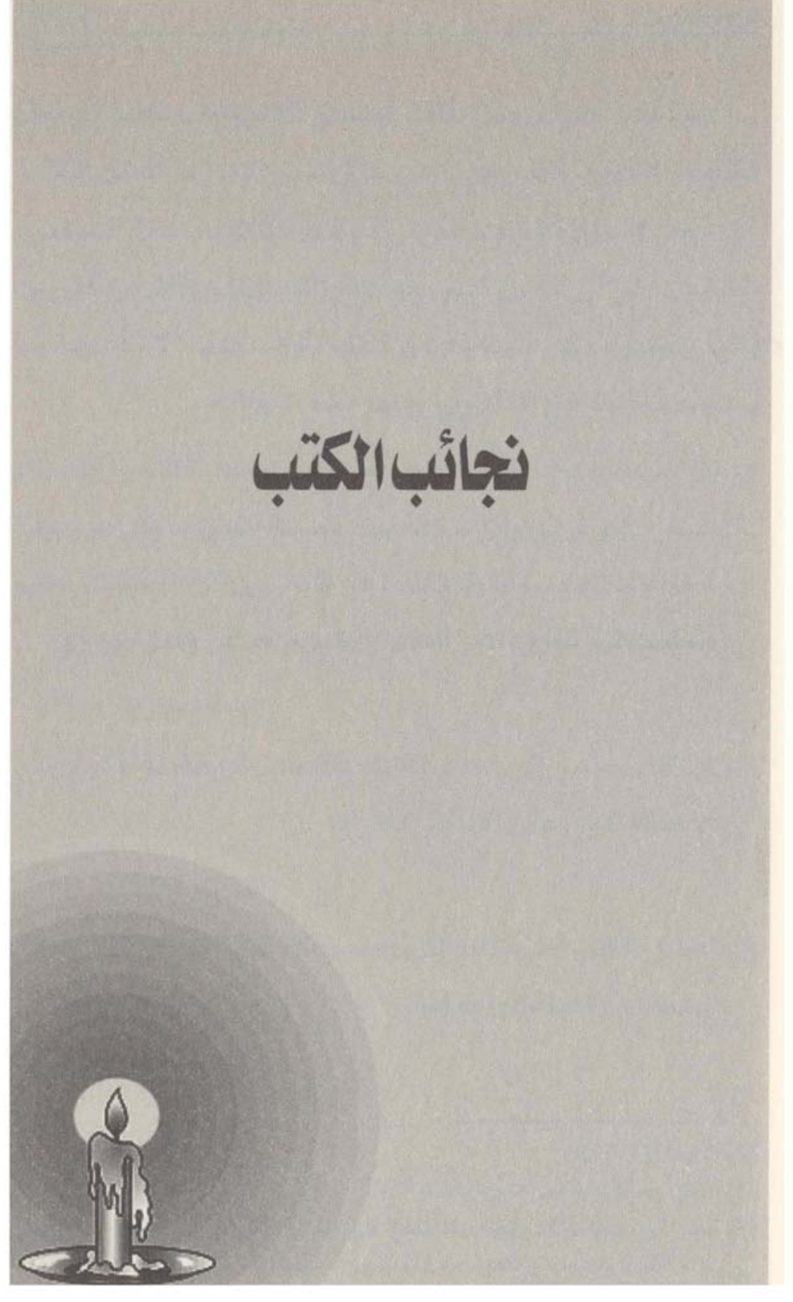
فإن قلت هم أحياء لست بكاذب

وإن قلت هم موتى فلست مفنداً

كلثوم بن عمرو العتابي (ت٢٢٠هـ)

الفهرست (ص ١٣)




نجائب الكتب

هذا باب لطيف يعنى بذكر أحسن الكتب وأفضلها في نظر الكتَّاب والمفكرين، ولعله يجيب عن سؤال يتكرر كثيراً ما أفضل الكتب؟

وهذا السؤال لا ينصرف إلى تسمية كتاب بعينه؛ إذ المسلمون مطبقون على أن أفضل كتاب هو كتاب الله تعالى (القرآن الكريم)، وإنما ينصرف إلى البحث عن كتب بأوصافها لا بأعيانها يستجيدها الكتاب والمفكرون، ومنها هذه المقولات:

- إذا استحسنت الكتاب واستجدته، ورجوت منه الفائدة ورأيت ذلك فيه - فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كم بقي من ورقة مخافة استنفاده، وانقطاع المادة من قلبه، وإن كان المصحف عظيم الحجم كثير الورق، كثير العدد - فقد تم عيشي وكمل سروري.

ابن الجهم (١٨٨-٢٧٧)(١)

- كل كتاب يرمي إلى إحدى ثلاث: اكتساب قريحة، أو فكر واسع، أو ملكة تقوي على الابتكار فاقرأه.

الرافعي (١٢٩٨-١٣٥٦)(٢)

- أفضل الكتب: هي تلك التي يحسب كل قارئ من قرائها أنه في وسعه أن يكتب مثلها تماماً.

باسكال (١٦٢٣-١٦٦٢م)(٣)

---

(١) الحيوان(١/٥٣).

(٢) انظر: رسائل الرافعي لأبي رية(ص٢٢).

(٣) انظر في مقولات الغربيين: مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات، د/ العسلي، عالم الكتب والقراءة والمكتبات، د/البنهاوي ، موسوعة روائع الحكم، للطويل.

- القارئ الجيد: هو الذي يصنع الكتاب الجيد.

رالف والدو أمرسون (١٨٠٣-١٨٨٢م)

- الكتاب الجيد يتحدى ولا يعجز؛ إنه أرقى من مستوى القارئ؛ لكن استيعاب معظمه يظل ممكناً.

د/عبد الكريم بكار [١]

- كم من رجل أرخ عهداً جديداً من حياته من يوم قراءة كتاب.

ثورو (١٨١٧-١٨٦٢م)

- قراءة الكتب العظيمة تلهب العَطِش للعظمة، ولا تطفئه أبداً.

فرانك دولي

- ما يكتب دون جهد أو معاناة يقرأ عادة دون استمتاع.

صمويل جوتسون (١٧٠٩-١٧٨٤م)

- وليس يجمع ذلك إلا كرام الكتب النفيسة، المشتملة على ينابيع العلم، والجامعة لكنوز الأدب، ومعرفة الصناعات، وفوائد الأرفاق، وحجج الدين... .

الجاحظ (١٥٠-٢٥٥)[٢]

- هناك فرق عظيم بين شخص متشوق يريد أن يقرأ كتاباً، وشخص متعب يريد كتاباً ليقرأه.

جلبرت كيث تشترتون

(١) ٢٠٠ بصيرة في القراءة والحوار(ص١٦)، القراءة المثمرة(ص٣٣).
(٢) الحيوان (١/٩٩).

- سئل كاتب عن أنجح كتاب فقال: إن الكتاب الذي من شدة رواجه تسأل الناس عنه فيدّعون أنهم قرؤوه وما قرؤوه قط.

مجهول

- أنفع الكتب هي تلك الكتب التي تستحث القارئ على إتمامها.

فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨م)

- فوق أي كتاب جيد لا بد أن يشرق وجه القارئ من وقت إلى وقت .

كرستيان مور جنتشتاين

- الكتاب الذي لا يستحق أن يقرأ مرتين، لا يستحق أيضاً أن يقرأ مرة واحدة.

فيبر (١٨٦٨-١٩٥٨م)

- إن كان الوقت ثميناً؛ فالكتاب الذي لا يحسن بتكرار قراءته لا يستحق أن يقرأ على الإطلاق.

توماس كارلايل (١٧٩٥-١٨٨١)

- الكتاب المناسب، في الوقت المناسب، للشخص المناسب.

مجهول

- الكتاب الذي لا يدع قارئه يفكر فيه بعد فراقه، ليس بكتاب قيم؛ كما أن الصديق الذي ينسى بسهولة ليس صديقاً.

بهيج عثمان (١٩٢١-١٩٨٥م)

- كل كتاب جيد، وخصوصاً الكتب القديمة، لا يفهما ولا يستمتع بها أحد مثل الذي يستطيع أن يكملها.

جوته (١٧٤٩-١٨٣٢م)

- إن الكتاب الجيد: هو الذي يحفز إلى العمل.

رالف والدو أمرسون (١٨٠٣-١٨٨٢)

- من طبيعة الكتاب الجيد أن يكون له نقاد.

نيكولا بوالو

- يجب أن تؤدي الكتب إلى إحدى أربع غايات: الحكمة، أو الورع، أو البهجة، أو النفع.

سير جون دنيام (١٦١٥-١٦٦٩م)

- الكتب الجيدة هي الجوهر المصفى للعقول الممتازة، والتحسين لمعارفها، وثمرة سفرها الطويل .

ماركيز دي فوفنارج

- إنه كتاب جيد؛ ذلك الذي يفتح على أمل، ويغلق بسرور وفائدة.

آموس برونسون ألكوت (١٧٩٩-١٨٨٨م)

- الكتب التي تعنيك أكثر هي التي تدفعك إلى التفكير أكثر.

تيودور باكر (١٨١٠-١٨٦٠م)

- لا تقاس الكتب بما حوت من الأخلاق؛ إنها بشيء واحد تقاس، مراعاتها للفن.

- قلت: الكتب الجيدة هي التي تستحوذ على فكرك، وتأخذ بلبك، وتنقلك من حياتك إلى حياتها.

أو هي التي تفتح لك أبواب العمل، أو النظر، أو الذكرى، أو الأنس.



جريدة المصادر والمراجع

(أ)

١- الآداب الشرعية، لأبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي (٧٠٨ - ٧٦٣)، حققه شعيب الأرنؤوط، وعمر القَيّام، ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، لبنان.

٢- أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦) شرح علي فاعور، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣- الاستخراج لأحكام الخراج، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥) تصحيح عبد الله الصديق، دار المعرفة، لبنان.

٤- إصلاح المنطق، لابن السِّكيت (١٨٦-٢٤٤)، شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون،ط الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

٥- الإضاءة في أهمية الكتاب والقراءة، إعداد خالد بن عبدالعزيز النصار، ط الأولى ١٤٢١هـ، دار العاصمة، الرياض.

٦- الأعلام (قاموس وتراجم)، لخير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، ط السابعة، عام ١٩٨٦م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٧- الاقتضاب شرح أدب الكتاب، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطَلْيوسي (٤٤٤-٥٢١) تحقيق محمد بن باسل عيون السود، ط الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨- الألفاظ الكتابية، للعلامة اللغوي عبد الرحمن بن عيسى الهمداني (ت٣٢٠هـ)، دار الهدى، بيروت.

٩- أنا، لعباس محمود العقاد (١٣٠٦- ١٣٨٣)، المكتبة العصرية، بيروت.

١٠- إنباء الغمر بأنباء العمر، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢)، تحقيق د/ حسن حبشي، وزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١١- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد، لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ) ، تحقيق د/ عبد الله التركي و د/ عبد الفتاح الحلو، ط الأولى، عام ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، دار هجر للطباعة، القاهرة، مصر.

١٢- الانطلاق في القراءة السريعة، لبيتر كومب، ط الأولى ٢٠٠٢، مكتبة جرير، الرياض.

(ب)

١٣- البحر المحيط، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤)، تحقيق عبد القادر العاني، وعمر وسليمان الأشقر، وعبد الستار أبو غدة، ط الثانية، عام ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

١٤- بدائع الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)،دار الفكر، لبنان .

١٥- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٦- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ) تحقيق د/ وداد القاضي، ط الرابعة، دار صادر، بيروت.

١٧- البيان والإعراب عمَّا بأرض مصر من الأعراب،تأليف أحمد بن علي المقريزي (٧٦٦-٨٤٥)، طبع في شهر رجب ١٣٥٦هـ، المطبعة المحمودية بالأزهر، مصر.

(ت)

١٨- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥) ، تصدير دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

١٩- تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان.

٢٠- تاريخ القراءة، لآلبرتو ما نغويل، ترجمة سامي شمعون، ط الأولى ٢٠٠١م، دار الساقي، بيروت.

٢١- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨)، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٢- تذكرة السامع و المتكلم في أدب العلم والمتعلم، للشيخ بدر الدين ابن إبراهيم ابن جماعة الكناني (٦٣٦-٧٣٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى السبتي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ط الثانية، عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب.

٢٤- تسريع القراءة وتنمية الاستيعاب، لأنس الرفاعي ومحمد عدنان سالم، ط الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت.

٢٥- تصحيح التصحيف و تحرير التحريف، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٦٩٧-٧٦٤)، تحقيق السيد الشرقاوي، ط الأولى، عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

٢٦- تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٢٩٣-٣٨٢)، دراسة محمود ميرة، ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة.

٢٧- تعليم المتعلم طريق التعلم،لبرهان الإسلام الزرنوجي (ت٦٤٠هـ)، ط الأخيرة، عام١٣٦٧هـ ١٩٤٨م، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

(ج)

٢٨- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للحافظ الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣)، تحقيق د/ محمود الطحان ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٩- جواهر العقدين في فضائل الشرفين، للشيخ علي الحسني السمهودي (٨٤٤-٩١١) دراسة وتحقيق د/ موسى العليلي، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م، مطبعة العاني، بغداد.

٣٠- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لمحيي الدين أبي محمد عبدالقادر بن محمد القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق د/ عبدالفتاح الحلو، ط الثانية،عام ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، دار هجر للطباعة، القاهرة، مصر.

(ح)

٣١- الحيوان،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠-٢٥٥)، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢- حصاد الهشيم، لإبراهيم عبد القادر المازني (١٣٠٨-١٣٦٨)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

(خ)

٣٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر.

(د)

٣٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٥- الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد ين تيمية (٦٦١-٧٢٨) ط الثانية، عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٣٦- دلائل الإعجاز، للشيخ أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، علق عليه محمود شاكر، ط الثالثة، عام ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، مطبعة المدني، القاهرة.

٣٧- ديوان لزوم ما لا يلزم، لأبي العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩) ط الأولى، دار الجيل ، بيروت.

(ذ)

٣٨- الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل، المعروف بـ (الراغب الأصفهاني) (ت٥٠٢هـ) تحقيق د/ أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، عام ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٣٩- الذيل على طبقات الحنابلة، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥)، دار المعرفة، لبنان.

(ر)

٤٠- رسالة في علم الكتابة، لأبي حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)،ط الأولى،١٤٢١هـ ٢٠٠١م، مكتبة الثقافة الدينية.

٤١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)، فسر غريبة وراجعه صابر يوسف، مكتبة الجامعة، القاهرة.

(س)

٤٢- سير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط الحادية عشرة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(ش)

٤٣- شرح حدود ابن عرفة الموسوم بـ (الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية)، لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع (ت٨٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، ط الأولى، عام ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٤٤- شرح مختصر الروضة لنجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي (٦٧٥ - ٧١٦)، تحقيق د/ عبد المحسن التركي، ط الأولى، عام ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٥- شرح منهاج الوصول، لجمال الدين الإسنوي (٧٠٤ - ٧٧٣) بهامش (التقرير والتحبير)، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت عن ط الأولى بالأميرية سنة ١٣١٦هـ.

٤٦- الشوقيات، شعر أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ص)

٤٧- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، لعبد الفتاح أبو غدة، ط الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٤٨- صيد الخاطر، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧)، تحقيق عامر بن علي ياسين، ط الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، دار ابن خزيمة، الرياض.

(ض)

٤٩ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢) ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(ط)

٥٠- طبقات الشافعية الكبرى، لأبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق د/ عبد الفتاح الحلو و محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة مصر.

٥١- الطرق الجامعة للقراءة النافعة، د/ محمد موسى الشريف، ط الرابعة، ١٤٢١هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.

(ع)

٥٢- العزلة، للحافظ أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (٣١٧-٣٨٨) تحقيق د/عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (٧٦٢ -٨٥٥)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥٤- العلم، للحافظ أبي خثيمة زهير بن حرب النسائي (١٦٠-٢٣٤)، حققه محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الأرقم، الكويت.

٥٥- عيون الأخبار،لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

(غ)

٥٦- الغيث المسجم في شرح لامية العجم، للشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٦٩٧-٧٦٤)، ط الثانية ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ف)

٥٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٥٨- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، للإمام شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط الثانية ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م، المكتبة السلفية، المدينة.

٥٩- الفصول، لعباس محمود العقاد (١٣٠٦- ١٣٨٣)، ط الأولى ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م، المكتبة التجارية بمصر.

٦٠- الفقيه والمتفقه، للحافظ الخطيب البغدادي (٣٢٩-٤٦٢)، حققه عادل العزازي، ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م،دار ابن الجوزي، الدمام.

٦١- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم، ط الثالثة، ١٩٨٨م، تحقيق رضا تجدد ابن علي، ط الثالثة.

٦٢- الفوائد، لابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(ق)

٦٣- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٦٤- قبض الريح ، لإبراهيم عبد القادر المازني (١٣٠٨-١٣٦٨)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

٦٥ - قراءة جديدة لتراثنا النقدي، أبحاث ومناقشات الندوة التي أقيمت في نادي جدة الأدبي في عام ١٤٠٩هـ، نشر النادي الأدبي بجدة عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، وفيه بحث د/ جابر عصفور المعنون (مقدمات منهجية).

٦٦- القراءة السريعة في مجال الأعمال، لستيف مويدل، ط الأولى ٢٠٠١م ، مكتبة جرير، الرياض.

٦٧- القراءة السريعة المهنية، لجير هارد هورنو، تعريب محمد جديد، مكتبة العبيكان، الرياض.

٦٨- القراءة الصحيحة، لفيليس ميندل، ط الأولى ٢٠٠٠م، مكتبة جرير، الرياض.

٦٩- القراءة المثمرة مفاهيم وآليات، د/ عبدالكريم بكار، ط الأولى،١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، دار القلم، دمشق.

٧٠- القواعد الفقهية، لعلي أحمد الندوي،ط الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار القلم، دمشق.

(ك)

٧١- كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط الأولى، دار الجيل، بيروت.

٧٢- الكتاب في العالم الإسلامي، تحرير جورج عطية، ترجمة عبدالستار الحلوجي، ضمن سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عام ٢٠٠٣م.

٧٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للمولى مصطفى بن عبد الله الرومي، المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧-١٠٦٧) ، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٤- كناشة النوادر، لعبد السلام محمد هارون (١٣٢٧ - ١٤٠٨)، ط الثانية، دار الطلاع، القاهرة.

٧٥- كيف تتقن فن القراءة السريعة، للوري روزاكس، ط الأولى ١٩٩٨م ،مكتبة جرير، الرياض.

٧٦- كيف تقرأ كتاباً، لمحمد صالح المنجد، ط الأولى ١٤١٦هـ، دار الوطن، الرياض.

٧٧- كيف تقرأ كتاباً، لمورتيمر آدلر، و تشارلز دون، ترجمة طلال الحمصي، ط الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، الدار العربية للعلوم، بيروت.

٧٨- كيف ندون الملاحظات،لكلودا دارتوا، ترجمة صباح يونس، ط الأولى، عام ٢٠٠١م، دار الفكر اللبناني، بيروت.

(ل)

٧٩- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، للحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٠ - لماذا نقرأ؟، لطائفة من الكتاب، إصدار دار المعارف، مصر.

(م)

٨١- المتنبي، لمحمود شاكر (١٣٢٧ - ١٤١٨)، ط الثالثة، عام ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م، مطبعة المدني، القاهرة.

٨٢- مجمع الأمثال؛ لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت ٥١٨ هـ)، علق عليه، نعيم حسين زرزور، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، عام ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٨٤- المحاسن والأضداد، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠-٢٥٥)، ط الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٨٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) هذبه إبراهيم زيدان، ط الثانية، عام ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٨٦- مداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي (٣٨٤ -٤٥٦)، تحقيق عادل أبو المعاطي، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، دار المشرق العربي، القاهرة.

٨٧- المزهر، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١)، شرحه محمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل، وعلي البجادي، ط الثالثة، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٨٨- المشوق إلى القراءة وطلب العلم، لعلي بن محمد العمران، ط الأولى، دار عالم الفوائد، مكة.

٨٩- المصون في الأدب، لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (ت٣٨٢هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، ط الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٩٠- المعارف، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ -٢٧٦)، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩١- معجم الأدباء، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٥٧٤- ٦٢٦)، تحقيق د/ إحسان عباس، ط الأولى، ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٩٢- معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٥٧٤- ٦٢٦)، تحقيق فريد الجندي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية دار السعادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)، دار الفكر، لبنان.

٩٤- مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات، اختارها ورتبها وترجم الأجنبي منها د/كامل العسلي، نشر بدعم من الجامعة الأردنية.

٩٥- مقدمة ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨) تحقيق درويش الجويدي، ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٩٦- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث للحافظ أبي عمر عثمان بن عبد الرحمن المشهور بـ «ابن الصلاح» (٥٧٧-٦٤٣) ط عام ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٧- الملاحن، لأبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي (٢٢٣-٣٢١) تحقيق عبد الحفيظ القرني، ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار الجيل، بيروت، مطبوع مع درة الغواص.

٩٨- من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان (ت ١٣٥٥هـ)، طبع في مصر.

٩٩- الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، حققه مشهور حسن، ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، دار ابن عفان، الخبر.

(ن)

١٠٠- النظائر، لبكر بن عبد الله أبو زيد، ط الأولى ١٤١٣هـ، دار العاصمة، الرياض.

١٠١- نفائس الأصول في شرح المحصول لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المشهور بـ (القرافي) (٦٢٦-٦٨٤)، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد،ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، مكتبة نزار الباز، مكة.

(هـ)

١٠٢- هموم ناشر عربي، لمحمد عدنان سالم، دار الفكر المعاصر، دمشق.



دليل الموضوعات







قال العقاد: «إن القراءة لم تزل عندنا سُخرة يساق إليها الأكثرون طلباً لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود».

إن العبقرية إذا لم تتغذ بغذاء القراءة خليقة أن تجف وتذبل، وإن الذكاء إذا لم يلازمه اطلاع يتحول إلى هباء.

لقد تعامل فئة من القراء مع الكتب تعامل المصادر والمراجع فلم يقرؤوها كاملة، و فئة أخرى جعلت القراءة ديدنها وعمرت أوقاتها بها، ولكن دون أن تجد الفائدة المتوخاة منها بالمقارنة مع الوقت الذي تقضيه فيها، وما درى هؤلاء أن القراءة لا تقف على كثرة ما يقرأ، وإنما على كيفية القراءة ونوع الكتاب وكيفية العيش معه والتروي منه أشد الرَّوَاء؛ لذا فإن السؤال المهم الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا دائماً: كيف نقرأ قراءة فاعلة مثمرة؟

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أجيب عن هذا السؤال الكبير.. وأرجو أن أكون قد وفقت فيما سعيت إليه، كما أرجو أن يجد القارئ في مادة الكتاب النفع والفائدة والله من وراء القصد.

ISBN: 1-819-40-9960

